

# جعفر بن أبي طالب

رضوان الله عليه

تأليف

محمد جواد الغبان

هذا الكتاب حرره الشيخ  
محمد حسين كاشف الغطاء

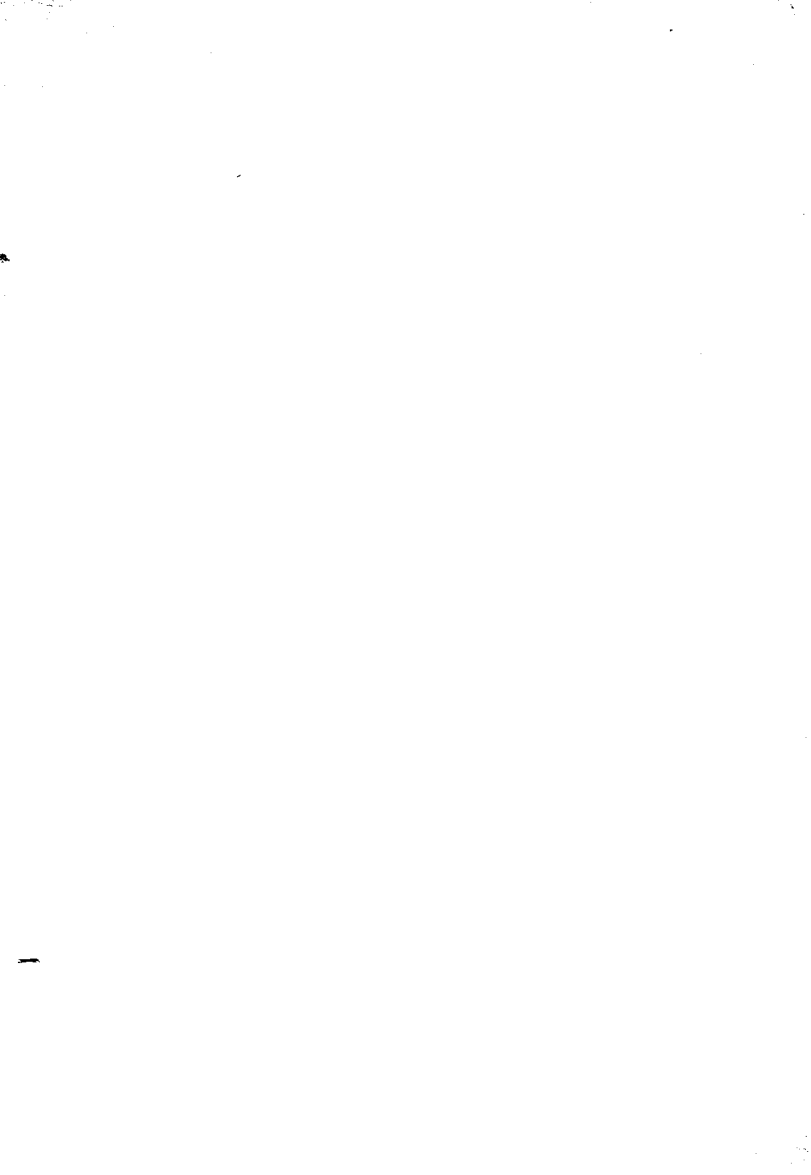
في مدرسته العلمية بالنجف

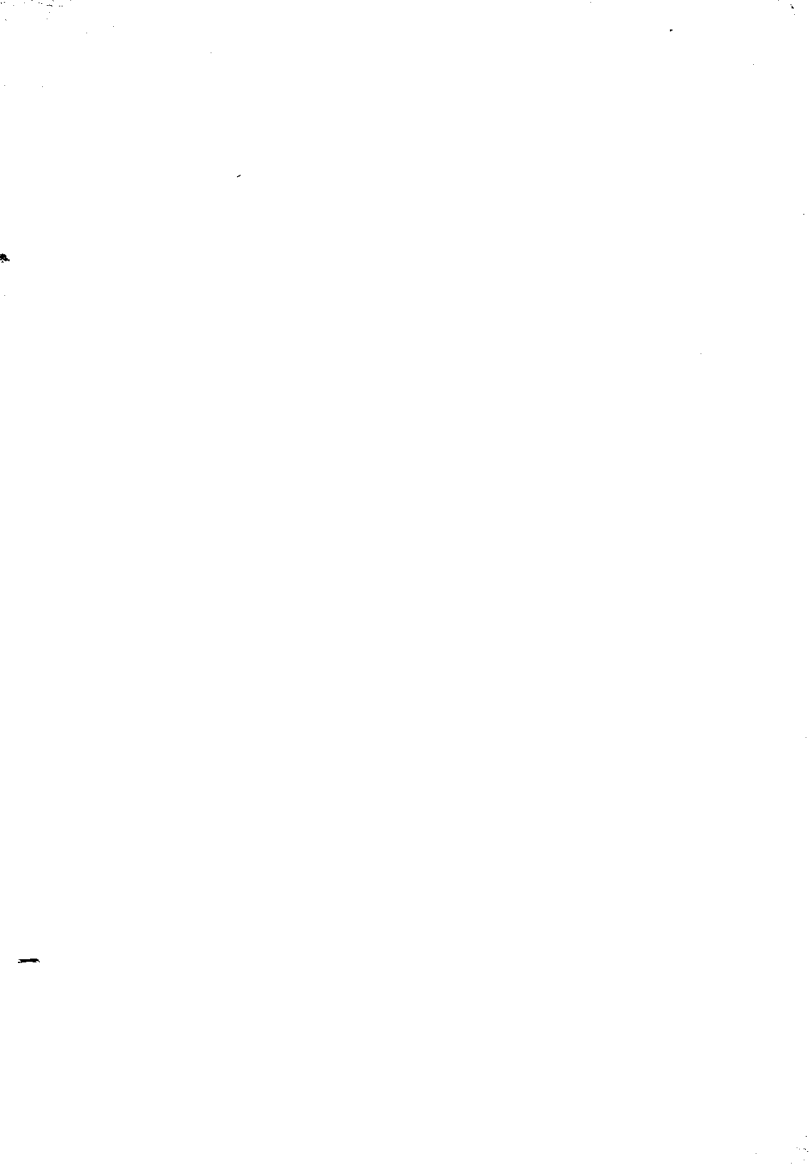
الأشرف يوم الجمعة

٥ شعبان ١٣٧٣ هـ









# كلمة دار الزهراء

دأبت ( دار الزهراء ) على خدمة التراث الاسلامي ونشر البحوث التي تعالج القضايا الاسلامية ، أو تدرس حياة العظماء من المسلمين .

وها هي اليوم تضيف الى قائمة منشوراتها كتاباً عن أحد الشخصيات الاسلامية الالامعة في صدر الاسلام سيدنا ( جعفر بن ابي طالب ) عليه السلام لمؤلفه الاستاذ محمد جواد الغبان .

لقد سلط المؤلف الاضواء في هذا الكتاب على حياة هذه الشخصية الاسلامية العظيمة فكان كتابه بكرة في موضوعه غزيراً في مادته حيث لم يسبق للباحثين ان كتبوا عن حياة ذي الجناحين جعفر بن ابي طالب عليه السلام . وبالإضافة الى كونه الكتاب دراسة تاريخية دقيقة ومنصفة فهو كما قال عنه الامام كاشف الغطاء في تصديره لطبعته

الاولى ( ... يروقتك في سلاسة انشائه وانسجام اسلوبه  
واتنظام تبويبه وتهذيبه ... )

فيسر ( دار الزهراء ) ان تقدم الى قرائها هذا الكتاب  
القيم معاهدين اياهم على الاستمرار في تأدية رسالتنا  
المقدسة .

والله من وراء القصد .

دار الزهراء

بيروت - لبنان  
١٣٩٩/١ج/٥ هـ  
١٩٧٩/٤/٢ م

## تصدير

بقلم  
سماعة الامام المصلح الأكبر  
آية الله الشيخ محمد الحسين  
كاشف الغطاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم  
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ) .

أعظم وأكرم وأشرف من اشترى الله منه نفسه وماله  
فقاتل وقتل في سبيل الله هو أفضل الشهداء في بدء الدعوة  
الاسلامية وأسعد السعداء في الطليعة الاولى من المجاهدين  
جعفر بن ابي طالب سلام الله عليه وعلى آبيه وأخيه .  
بل هو الذي يقول عز شأنه فيه وفيمن يضاهيه - وقل  
من يضاهيه - في جميع هذه المزايا والفضائل :

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله  
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم  
الفائزون » .

وجعفر « ع » قد جمع هذه الخصال السامية والمناقب  
الثابتة ، آمن وهاجر وجاهد وقاتل وقتل الى أن قتل  
فهو رفع الله قدره وأعظم أجره من بناء هذا الدين وله  
الحق على جميع المسلمين .

ولا يخفى ان من سمو مقام جعفر وعلو منزلته عند  
الأعظم من العلماء أن بعض المشاهير في القرن الثاني حاول  
أن يساويه بأخيه أمير المؤمنين أو يفضله من بعض الوجوه ،  
وهو وان أخطأ في التفضيل ولكنه أصاب في تعظيم جعفر .

وان من أقل حق جعفر على المسلمين هو تأليف كتاب  
يتضمن ترجمته ويجمع فضائله وسيرته ، فان ذكره وان كان  
مشهورا وقدره لا يزداد الا نورا وظهورا ، ولكن درر  
معاليه ، ودراري كراماته ومساعيه كانت متفرقة في بطون  
التراجم والسيرة والتاريخ ، وجمعها مع حسن التبويب  
والترتيب عمل شاق ومجهد يحتاج الى جلد ومثابرة .

وقد قيَّض الله لهذه المكرمة والمجهود المبكر الشاب  
المهذب الأديب النجيب محمد جواد الغبان زاد الله في توفيقه  
ومد في عمره ، فقد عرض عليّ جملة ملازم من كتاب ألفه



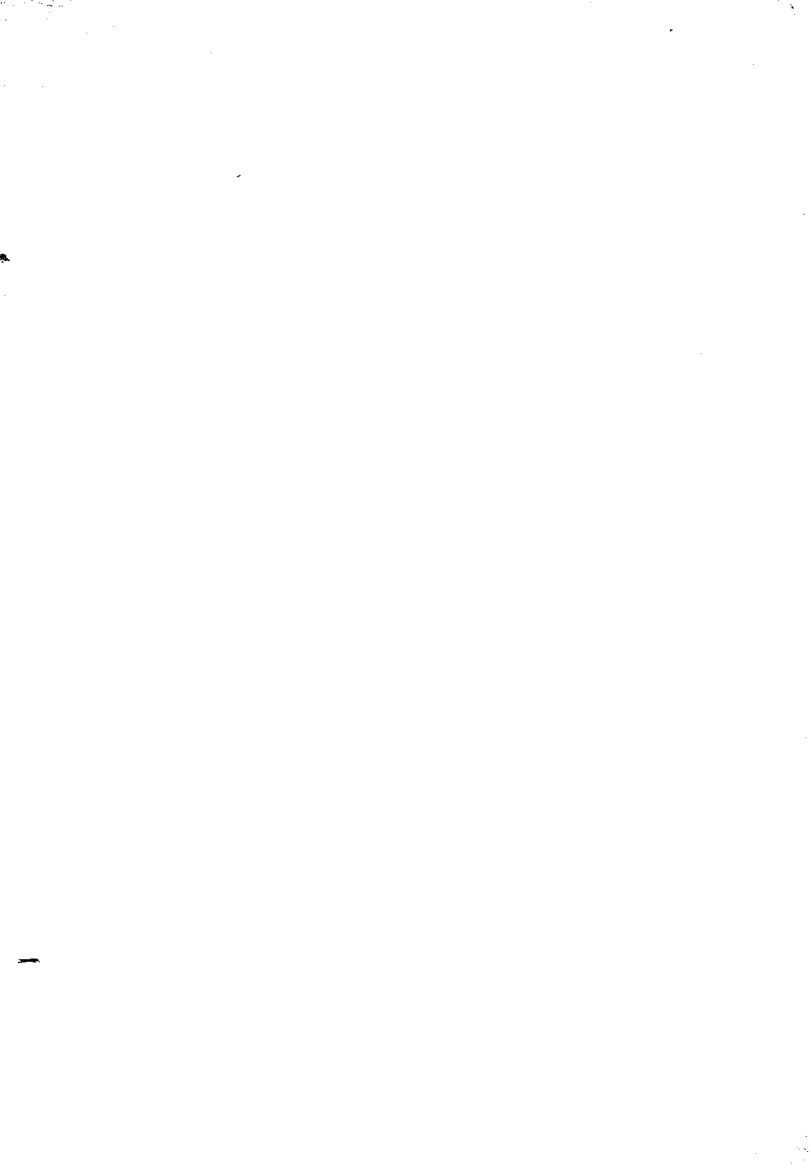
في هذا السيل فوجدته خير مشروع في أشرف موضوع ،  
وقد أحسن في جمعه وأجاد في وضعه ، يروك في سلاسة  
انشائه وانسجام أسلوبه وانتظام تبويبه وتهذيبه .

وما كان في الحسبان ان شاباً شادياً مثله يقتحم هذه  
القصة ، ولكنه علو الهمة وطموح الشباب ونجاة الأصل  
« وابن السرى اذا سرى أسراها » فان والده العلامة التقى  
الشيخ عبد الكاظم أيده الله ممن حاز العلم والفضيلة ،  
وهو من أصحابنا الأقدمين البارزين في الحوزة العلمية  
« والولد سر أبيه » .

واني أسأله تعالى ان يوفق هذا الشاب الاديب فيشفع  
كتابه هذا بكتاب ثاني في أحوال « حمزة بن عبد المطلب »  
سيد الشهداء الأولين عم جعفر «ع» فانه أيضا آمن  
وهاجر وجاهد وقاتل وقتل ، ليكون هذان الكتابان  
كجناحين يطير بهما في الجنة مع جعفر الطيار ، ومع النبيين  
والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

حرره في مدرسته العلمية  
بالنجف الاشرف يوم  
الجمعة ٥ شعبان ١٣٧٣ هـ



## مقدمة الطبعة الثانية

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان من جملة اهتماماتي، في بدء حياتي العلمية وحتى الآن ، دراسة تاريخنا العربي والاسلامي، فكنت أقرأ - بشغف - تاريخ العرب والاسلام لاستطلاع حوادثه وأخباره ، واستجلاء صور شخصياته المجيدة من أفذاذه الخالدين .

ومن خلال تلك القراءات في كتب التاريخ لفت نظري أن هناك الكثير من الشخصيات الاسلامية لم يقم الباحثون بتقديم دراسات خاصة عن حياتهم وسيرتهم ... ومن أولئك الأفذاذ ( جعفر بن ابي طالب ) الذي هو من ألمع الشخصيات وأبرزها في صدر الاسلام لانه ( ذو الهجرتين ) و ( ذو الجناحين ) وهو قائد غزوة ( مؤتة ) وشهيدها البطل .

وفي غضون تلك الفترة من اهتماماتي التاريخية قمت بتأليف هذا الكتاب دارساً فيه حياة سيدنا جعفر بن ابي طالب ، فسدّ الكتاب فراغاً في بابه ، وتفتدت جميع نسخ طبعته الاولى في حينه .

واليوم حين تقوم ( دار الزهراء ) باعادة طبع الكتاب - ضمن ما تنشره من دراسات قيمة عن الاسلام وابطاله - رغبت - لأول وهلة - باعادة النظر في الكتاب فرأيت ان اعادة النظر هذه ربما ستضيف اليه معلومات واستنتاجات أخرى قد تحدث تغييراً في أسلوبه ومادته ، فبدالي من الأفضل ان يعاد طبع الكتاب كما هو في طبعته الاولى ، حفاظاً على الامانة التاريخية ، واعتزازاً بالمرحلة التي كان هذا الكتاب ثمرة من ثمراتها لكي يكون كل حكم عليه يتناسب مع تلك المرحلة التي تم فيها تأليفه . ومن الله نستمد التوفيق .

بغداد في ١٥-٣-١٩٧٩

محمد جواد الفيان

## مقدمة الطبعة الاولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

زخر صدر الدولة الاسلامية برجال أفذاذ كانوا أمثلا  
عليا في الايمان العميق والثقة بالنفس والتضحية في سبيل  
الواجب واعلاء كلمة الحق والعمل لخير البشرية واسعادها .

وفي كتابنا هذا سنتحدث عن شخصية لامعة عاشت في  
الجاهلية بروح الاسلام نابذة التقاليد العمياء والعادات  
الذميمة ، مهتدية الى الحق بنور العقل السليم ، متجهة  
بتفكيرها الصائب الى الطريق اللاحب .

شخصية آمنت بالله ورسوله - منذ بزوغ فجر  
الدعوة المحمدية - ايمانا راسخا فتحملت ألوان الأذى في  
سبيل الله ، حتى نزحت الى بلاد قاصية ، وأخيرا ضربت  
رقما قياسيا في التضحية فقدمت نفسها طعمة للسيوف  
والأسنة من أجل الدين الحنيف .

تلك هي شخصية جعفر بن ابي طالب ، الشخصية  
اللامعة التي لم يولها التاريخ ما تستحق من العناية، اذ لم نجد  
كتابا يستعرض حياة هذه الشخصية استعراضا وافيا يعطي  
للباحث والمطالع صورة صادقة عن جعفر ذي الجناحين . بل  
كل ما هنالك صفحات متفرقة مبثوثة في كتب السيرة  
والتاريخ لا تعرض لذكر جعفر الا عرضا يسيرا موجزا .

ذلك ما حدا بنا الى تأليف هذا الكتاب ، وحفزنا الى  
البحث والتنقيب في أمهات الكتب والمصادر لكي نقدم الى  
القراء كتابا خاصا بسيدنا جعفر يقرأون فيه صفحات رائعة  
عن حياة شخصية لامعة كانت مثالا للفضيلة والعظمة  
بخدمتها للاسلام وتضحيتها في سبيله حتى آخر لحظة من  
حياتها .

ولما كان الكمال مستحيل المنال فلست أعتد بنفسي  
الى درجة أبرئها من النقص فاذا وجد القارئ الكريم في  
ثنايا هذا الكتاب مؤاخذة أو ملاحظة فليوافني بها وله أجزل  
شكري وامتناني مقدما ، والله تعالى هو المسدد لخطا  
الجميع .

١٨-٤-١٩٥٤ م

١٦-٨-١٣٧٣ هـ

محمد جواد الفيان

## الولادة

كثيراً ما يغفل التأريخ عن اثبات كثير من القضايا والامور التي يحصل من اهمالها والغفلة عنها تأخير لنتائج جهود الباحثين فيظلون يقلبون كتب التأريخ ليظفروا بما يعنيه من تلك الامور ، وهم - والحال هذه - ربما أصابوا أو أخطأوا ، وليس عليهم تبعة في ذلك الخطأ .

ونحن على كل حال لا نكيل للتأريخ عذلاً ولا عذراً بل كل ما يعيننا هنا هو الاشارة الى غفلة التأريخ واهماله لما كان ينبغي تسجيله من الحوادث لان في ذلك اراحة للباحث من الاجهاد والخبط في بطون الكتب والاخبار .

والتأريخ كما قد يغفل عن ضبط صغار القضايا فكذلك قد يغفل عن كبارها ومهماتا ، فهناك من القضايا الهامة التي هي مهمة منسية ما لم يكن بوسعنا ان نأتي على حصره .

واذا كان الامر كذلك فليس بمستغرب اذا قلنا ان التأريخ أغفل ولادة سيدنا جعفر بن أبي طالب وأهمل

اثباتها ، وليس معنى هذا أنه لم يكن لجعفر من الشأن ما يستحق عليه تسجيل ولادته ، فجعفر ذو شأن كبير ومقام كريم وشخصية لامعة في الاسلام .

وليس علينا بمثل هذا المقام الا أن نحقق ونبذل بعض الجهود بالبحث عن سنة الولادة وضبطها جهد الامكان .

وإذا حصل الاختلاف في زمان الولادة فلم يحصل الشك في مكانها ، فان جعفراً (ع) ولد في مكة المكرمة في كنف أبيه أبي طالب ليس في ذلك شبهة أو ريب .

لكن الأمر الذي نريد التحقيق فيه هو العام الذي ولد فيه جعفر (ع) فان التأريخ لم ينص على عام ولادته . فهل من طريق يوصلنا الى ضبط ولادته وتحقيقها ..؟ وليس لنا بد من الرجوع الى ما ذكره المؤرخون عن السنة التي توفي فيها وعن مقدار عمره يوم وفاته ، لكي نستطيع أن نستنتج من ذلك عام الولادة .

اتفقوا على ان جعفراً استشهد في السنة الثامنة من الهجرة - كما ذكر ذلك جميع من كتب في أحواله من المؤرخين - اللهم الا قول ضعيف لا يعتد به ولا يلتفت اليه . لتكذيبه عند التحقيق والتأمل ، وقد رواه صاحب كتاب ( عمدة الطالب ) من أن جعفراً استشهد في السنة السابعة



من الهجرة .

ويأتي هذا القول على ما أورده بعض الرواة من أن النبي (ص) أرسل جعفرأ في غزوة ( مؤتة ) في السنة التي جاء فيها جعفر من الحبشة بعد فتح خيبر ، ومن المتفق عليه أن مجيء جعفر من الحبشة كان في السنة السابعة من الهجرة . وأن غزوة خيبر كانت في السنة السابعة أيضا .

ولكن تنفيذ هذا القول يأتي على ما يرويه جل المؤرخين من أن غزوة ( مؤتة ) كانت في السنة الثامنة من الهجرة ، أي بعد فتح خيبر بسنة واحدة لا في نفس تلك السنة .

ونرجع الآن الى ما ذكره المؤرخون عن مقدار عمره يوم وفاته لأن ذلك يتم لنا استنتاج عام الولادة . ويسهل علينا استنتاج ذلك لو انهم ذكروا عمره متفقين من دون اختلاف في أقوالهم وتضارب في رواياتهم . غير انهم اختلفوا ، في ذاك حتى وردت عنهم روايتان يلزمنا الفحص عنها وتحقيقها .

أورد أبو الفرج في ( مقاتل الطالبين ) بسنده عن بعض احفاد جعفر بأن جعفرأ قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين

أو أربع وثلاثين سنة .

ونحن نجزم بعدم صحة هذا القول ، حتى ان أبا  
الفرج نفسه حينما ينتهي من ايراد هذه الرواية لم يترك  
التعليق على ضعفها وعدم صحتها فيقول : « وهذا عندي  
شبيه بالوهم » .

ثم يستدل على تفيد الرواية : بأن جعفرأ قتل في  
السنة الثامنة من الهجرة ، وبين تلك السنة وبين مبعث النبي  
محمد احدى وعشرون سنة ، والمفروض أن جعفرأ أسن من  
أخيه علي (ع) بعشر سنين (١) ، وكان لعلي (ع) حينما  
أسلم سنون مختلف فيها أقلها سبعة وأكثرها خمسة عشر ،  
فلو أخذنا بقول المقل منهم وهو سبع سنوات يكون لجعفر  
من العمر يوم استشهد ثمان وثلاثون سنة .

بهذه الحجة الواضحة استطاع ( ابو الفرج ) ان

---

(١) كان جعفر هو الثالث من ولد ابيه حيث ان طالبا كان  
أكبرهم سنأً ويليهِ عقيل ويلي عقيلاً جعفر ويلي جعفرأ  
علي . والمعروف ان كل واحد منهم كان يكبر اخاه  
بعشر سنين .

ينقض قول القائل بأن عمر جعفر كان ثلاثاً أو اربعا وثلاثين سنة (١) .

واذا اتضح ان جعفرأ تجاوز الاربعة والثلاثين عاما حين استشهد نرى لزما علينا ان نرجع الى القول الثاني في عمره . ذكر ابن عبد البر في ( الاستيعاب ) وابن حجر في ( الاصابة ) : أن عمر جعفر يوم استشهد كان احدى وأربعين عاماً .

وهذا القول هو المرجح بل هو المتعين . لانا لو أخذنا بهذا القول لزمنا أن نقول - بناءً على ما تقدم - أن عمر أخيه علي (ع) يكون حينما أسلم عشرة أعوام ، واسلام علي في هذه السن يذكره أغلب المؤرخين وهو القول المؤيد.

وهذا يتفق مع ما يرويهِ صاحباً ( الاستيعاب ) و ( الاصابة ) عن عمر جعفر .

---

(١) ولا ندري كيف اعتمد الدكتور الباحث محمد حسين هيكل في كتابه ( حياة محمد ) - ص ٣٧٦ - على هذه الرواية فقال : ان جعفرأ يوم قتل في مؤتة كان في الثالثة والثلاثين من عمره . والرواية المذكورة غير معتمدة على ما ذكرناه .

وبناءً على هذا نجد أنفسنا غير زائغين عن الواقع حين  
تمسكنا بالقول المذكور وأخذنا به لانه اقرب للواقع حينما  
نسبر غور الحوادث ونمنع النظر في الأقوال والروايات  
الواردة في هذا الشأن .

بعد هذا كله يظهر للقارئ الكريم اننا دققنا ومحصنا  
الروايات التي تخص عمر جعفر فأوهينا منها ما كان ضعيفاً ،  
وتمسكنا بما كان صحيحاً واقعاً - حسب الاستقصاء  
والبحث - وقد استظهرنا من كل ذلك ان جعفرأ تجاوز  
الاربعين ، بل أخذنا بقول صاحبي ( الاستيعاب )  
و ( الاصابة ) من كون عمره احدى واربعين عاماً .

وعلى هذا فان ولادة سيدنا جعفر (ع) تكون قبل  
البعثة بعشرين عاماً تقريباً .

هذا ما وسعنا الوقوف عليه من شأن ولادة جعفر (ع)  
بعد البحث وتحري الروايات ، وهذا ما كان بوسعنا أن  
نستنبطه من تلك الاقوال المضطربة والروايات المتضاربة  
في تعيين العام الذي ولد فيه .

## التربية والنشأة

كانت مكة المكرمة مهوى أفئدة العرب ومطمح أنظارهم ، تهفو اليها القلوب وتشخص لها الابصار ، لقدسيةها وعظمتها التي اكتسبتها من بيتها ( العتيق ) بيت الله الحرام ... ذلك البيت الذي تتقاطر عليه آلاف الحجاج في كل عام من كل حذب وصوب خاشعين خاضعين امام عظمة البيت وقديسيته .

وهذا ما جعل لاهل مكة من المكانة والشرف ما يفتخرون به على غيرهم من العرب ، وهذا ما اضطر العرب على الاعتراف لهم بتلك الفضيلة، وألزمهم بالاذعان لشرفهم العتيدي .

وقد كانت مكة مؤلفة من شعوب وقبائل تتفاوت مراتب بعضهم عن بعض بما يحرزون من المجد والسؤدد ، ولكنهم جميعا كانوا يؤمنون بأن قریشاً كانت حائزة على أقصى حدود المفاخر فلم يطاولها مطاول في شرف او

ينازعها منازع في سؤدد وفخر .

واذا علمنا أن قريشاً نفسها كانت تتألف من عدة أفخاذ وبطون ، يتضح لنا أن التفاوت في المكارم لا بد أن يحصل بينهم نتيجة للتطاول والتنافس الذي لا بد من وقوعه وحدوثه لأن الانسان مجبول بطبيعته على المنافسة وحب الذات ، فالبطون المتفرعة من قريش يختلف بعضها عن بعض بمقدار ما تحصل عليه من السابقة في مضمار الفضائل .

ولو أننا أنعمنا النظر في التاريخ لعلمنا أن ( بني هاشم ) ألع بيت في قريش لأن لهم من المقام الرفيع والمنزلة الكريمة ما يضطر غيرهم الى الاعتراف لهم بالسابقة والشأن . وذلك لما كانوا يتحلون به من شرف عال ومجد أثيل لم يستطع أن يجحده جاحد أو ينكره منكر .

ولو أننا ألقينا نظرة فاحصة لظهر لنا أن باني هذا المجد العظيم للهاشميين ومؤسس كيانهن المؤئل في قريش هو جدهم هاشم بن عبد مناف الذي رأت فيه قريش - وهو في ميعان صباه - شاباً طاهراً ليس كغيره من الشبان الذين انجرفوا بتيار الجاهلية .

هذا بالإضافة الى ما اتصف به من الكرم المتاهي ،

حتى انهم اشتقوا له اسما من كرمه فسموه ( هاشم )  
لانه هشم الثريد لقومه ، وغلبوا عليه هذا اللقب حتى  
صار لا يدعى الا به بدلا من اسمه الحقيقي ( عمرو العلاء ) .  
ولما كانت مناصب قريش - وهي السقاية والرفادة  
والحجابة واللواء والندوة - في بني ( عبد الدار بن قصي )  
راهم هاشم لا يوفون حقها كما يرام فنازعهم ليأخذ  
قسما من تلك المناصب على عاتقه ، وقد انتهى ذلك  
النزاع بأن صارت ( السقاية والرفادة ) له فقام بتأديتها  
على أحسن الوجوه .

وان هاشماً نفسه هو الذي استن رحلتي الشتاء  
والصيف الى اليمن والى الشام بعد أن اتصل بقيصر ملك  
الروم وعقد معه حلفاً يسمح بموجه لقريش ان تختلف الى  
الشام آمنة مطمئنة .

بهذا ونحوه تمكن هاشم من نفوس قريش وجمع اليه  
رايهم حتى اضطرهم لان يلقوا اليه بمقاييد الزعامة لما  
كانت فيه من المؤهلات التي لم يحرزها غيره .

ولقد مات هاشم - صاحب تلك الزعامة الكبيرة -  
وهو في ربيع حياته قان أعلى رواية في عمره انه مات  
وهو ابن خمس وعشرين سنة .

ولما مات قام من بعده بالسقاية والرفادة أخوه المطلب حتى نشأ عبد المطلب بن هاشم فتنازل عنها المطلب الى ابن اخيه لانه رأى فيه من المؤهلات للزعامة ما يجعله نعم الخلف لأبيه هاشم . فقام عبد المطلب بشؤون السقاية والرفادة أحسن قيام فأخذت منزلته في قريش تعلو شيئاً فشيئاً حتى أصبح سيد الجميع بدون منازع وزعيم البطحاء من غير مطاول .

وكيف لا يحظى عبد المطلب بكل ذلك في قريش وهو الذي كانوا يعرفون فيه ، زيادة على شرف النسب وكونه ابن هاشم الزعيم ، انه أنداهم كفا وأطهرهم نفساً وأبعدهم عن الدنايا وأقربهم من الفضائل ، بالاضافة الى مكارم أخلاقه من كرم واباء ونجدة وحمية وعفة واستقامة الى غير ذلك من الصفات التي تتفاضل بها النفوس وتعرف بها قيم الرجال .

وهذا ما جعل عبد المطلب محترماً مبجلاً عند خاصة قريش وعامتهم حتى لقبوه بسيد البطحاء وشيخ قريش .

وكان لا بد لهذا الزعيم العظيم الحائز على اقصى حدود المكارم ان يبعث في ذويه من مزاياه الكريمة ويغذيهم



بأخلاقه الحميدة وان يكون لهم مرشدا يوضح لهم طريق الصواب ونهج الحق فانهم اولى ان يتأثروا به من سواهم .

ولا بد لهذا الشيخ الجليل ألا يموت حتى يرى معالم شخصيته الكريمة تتجلى واضحة في واحد من بنيه تمام الوضوح ، ليقوم بعبء الزعامة التي قام بها ابوه وليتسنم رئاسة البيت الهاشمي ويحتفظ بمكائنه في قریش .

ولقد كان ابو طالب (ع) هو ذلك الابن الذي رأى فيه ابوه عبد المطلب كفاءاً لتسنم الزعامة من بعده فما أزفت السنة الثامنة بعد عام الفيل - وهي السنة التي توفي فيها عبد المطلب - حتى علم علماً قطعياً بأن منصبه لم يتركه شاغراً من بعده في قریش بل سيملؤه من بعده ولد كفاء هو أبو طالب (ع) لما كان يراه فيه - دون سائر اخوته - من المؤهلات .

ومما يدلنا على اعتماد عبد المطلب على ابنه ابي طالب وثقته به هو انه لما ولد النبي محمد (ص) يتيماً قام عبد المطلب بتربيته والحدب عليه حباً له من جهة ، وعلماً بما سيؤول اليه أمر هذا الغلام اليتيم من جهة اخرى اذ انه كان يعلم من امره ما خفي على غيره من الناس .  
وحين حضرت الوفاة عبد المطلب وقد اتى عليه اثنتان

ومائة سنة ورسول الله (ص) يومئذ ابن ثمانين سنين .  
فجمع عبد المطلب بنيه وكانَ مما قال لهم في أمر محمد :

ان محمداً يتيم فأووه وعائل فأغنوه .

فقال ابو لهب : انا له .

فقال : كف شرك عنه .

فقال العباس : أنا له .

فقال له : أنت غضبان لعلك تؤذيه .

فقال ابو طالب : أنا له .

فقال : نعم أنت له وأنشأ يقول :

أوصيك يا عبد مناف<sup>(١)</sup> بعدي

بواحد بعد أبيه فرد

ولم يخص عبد المطلب ابنه أبا طالب بأمر محمد (ص)  
الا لانه كان يتوسم فيه من الشفقة عليه والتصديق  
بدعوته ما يدعوه لان يعهد اليه دون بقية اخوته بأمر  
تربية ذلك الغلام اليتيم . وكان مما أوصاه في شأنه قوله :

« يا بني قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدني به .  
فانظر كيف تحفظني فيه » .

---

(١) اسم أبي طالب .

فقال أبو طالب : « يا أبا له لا توصني بمحمد فهو ابني وابن أخي » .

ولما مات عبد المطلب وفي أبو طالب بكل ما وعد به أباه من تربية محمد والعناية بأمره .

ونحن حين تعرضنا لهذا الامر قصدنا الإشارة الى مدى ثقة عبد المطلب بابنه ابي طالب واعتماده عليه في أعز شيء لديه وما ذلك الا القيام بتربية محمد (ص) .

لقد خلف أبو طالب أباه في الزعامة للمؤهلات التي يتمتع بها وكريم الصفات التي كان يتحلى فيها فخضعت قريش لجلالة قدره وألقت اليه زمام أمورها لانها رأت فيه شيخاً وقوراً محنكاً ذا رأي وعقل وخبرة فلقبوه بسيد البطحاء وشيخ قريش كما لقبوا بذلك أباه من قبل .

وينبغي للقارئ الكريم ان يعلم بأن أبا طالب كان متوسط الحال من الناحية المادية فلم يكن من ذوي اليسار وأرباب الثراء الذي هو من أهم عوامل الارتقاء الى ذروة الزعامة ، ولكننا يجب أن نعلم بأن لابي طالب من راحة العقل والرأي ومتانة الاخلاق وكرم النفس وعفة الضمير وحميد المزايا والصفات ما فرضه زعيماً على قريش، حيث انهم رأوا فيه مثلاً عالياً للانسان الكامل الذي استطاع

أن يبرهن لغيره من الناس بأن النفس الكاملة تستطيع أن تجتذب إليها النفوس مطيعة صاغرة .

ونحن حين قمنا بهذه الدراسة الموجزة عن البيت الهاشمي أردنا أن نجعلها كمقدمة نخلص منها الى الكلام بشيء من الامام عن أبي طالب وفاطمة بنت أسد أبوي جعفر (ع) لان عادات الابوين وطبائعهما وأخلاقهما مما يؤثر تأثيراً بالغاً في سلوك الابن من ناحية الوراثة .

وبذلك نستطيع أن نقف على نوع التربية التي ترباها سيدنا جعفر وتأثيراتها عليه وذلك بما نعرضه عن النشأة التي نشأها في كنف أبويه ، وقد ألمعنا الى شيء من عظمة ابي طالب وشخصيته ومكاته في قريش ، كما أشرنا الى اتصافه بأحد الصفات وأفضل الاخلاق .

وسياأتي - في فصل آخر من هذا الكتاب - الكلام عن عقيدته الدينية وتوحيده لله وتصديقه بنبو محمد (ص) وما يتبع ذلك من أثر في توجيه سيدنا جعفر ومبادرته الى الاسلام .

وتكملة للحديث عن أبوي جعفر يتحتم علينا الكلام - ولو بشيء من الإيجاز - عن أمه .  
هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وقد اقترن بها ابن

عمها أبو طالب ولم يقترن بسواها طيلة حياته .  
والتاريخ لم يذكر لنا شيئاً من أمرها قبل الاسلام  
سوى أنها كانت ربيبة خدر وعفاف وصاحبة شرف وفضيلة ،  
وهذا لا يستكثر على كريمة نشأت في البيت الهاشمي الذي  
شهدت له كل قریش بأنه احتل صدر الشرف والفضائل  
وبزّ في ذلك سائر البيوت .

ولم يعين لنا التاريخ السنة التي اقترن فيها أبو طالب  
بفاطمة بنت أسد ، ولم يذكر من أمر هذا القران شيئاً الا  
أن أبا طالب خطب في نكاح فاطمة منه فقال :

« الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم والمقام  
الكریم والمشرع والحطيم ، الذي اصطفانا أعلاماً وسادة ،  
وعرفاء خلصاً وقادة ، وحجة بهليل أطهاراً من الخنا والريب  
والأذى والعييب ، وأقام لنا المشاعر وفضلنا على العشائر .

ثم قال : وقد تزوجت فاطمة بنت أسد ، وسقت المهر  
وتفدت الأمر فاسألوه واشهدوا » .

فقال أسد ابو فاطمة : « زوجناك ورضينا بك » .

ثم نحر أبو طالب الابل وأطعم الناس سبعة أيام .  
وفي ذلك يقول أمية بن الصلت :

أغمرنا عرس أبي طالب

من راجل خف ومن راكب

فنازلوه سبعة أحصيت

أيامها للرجل الحاسب

هذا ما عثرنا عليه من أمر زواج أبي طالب بفاطمة .  
والمعروف ان فاطمة بنت أسد هي أول هاشمية ولدت  
لهاشمي وأول أولادها هو طالب وبعده بعشر سنوات ولدت  
عقيلاً وبعده عشر ولدت جعفرأ وبعده عشر أخرى ولدت  
عليأ (ع) .

ولا يخفى - على كل من قرأ سيرة الرسول (ص)  
واخباره - شأن فاطمة بنت أسد ومقامها المحمود في  
الاسلام ، فهي التي اشتركت مع زوجها أبي طالب في كفالة  
النبي محمد (ص) وتربيته حتى انها كانت تؤثره على أولادها  
بالعناية .

وحين صدع النبي باسم ربه كانت فاطمة من  
المبادرات الى الاسلام ، فأسلمت بعد عشرة من المسلمين .  
وقد لحقت بالنبي في هجرته الى المدينة ، وهي أول

امرأة بايعت رسول الله حين دعا النساء الى البيعة بعد نزول قوله تعالى :

( يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك .. الخ ) .  
وقد كان النبي (ص) يكرمها ويعظمها منتهى الاكرام والتعظيم وكان يدعوها أمي . حتى توفيت في السنة الرابعة من الهجرة

ولما توفيت كفنها النبي بقميصه وأمر أسامة بن زيد وأبا أيوب الانصاري وغلاماً أسود فحفروا قبرها في البقيع فلما بلغوا لحدها حفره النبي بيده وأخرج ترابه فلما فرغ رسول الله اضطجع فيه وقال :

« الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حبتها ووسع مدخلها بحق نبيك محمد والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين » .

ف قيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها . فقال : « ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر فانها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً بي بعد عمي أبي طالب » .  
هذا شيء موجز عن حياة فاطمة بنت اسد ذكرناه للقارئ الكريم كي يقف على طرف من مقام هذه المرأة

الكريمة ، ليرى أثره في نشأة ولدها جعفر .

وجدير بيت يضم شيخ البطحاء أبا طالب والبرة الصالحة فاطمة بنت أسد ان يكون بيت شرف وفضائل وخلق ومكارم وكيف لا يكون كذلك وقد ضم ذلك الشيخ الوقور ذا المزايا الجمّة ، وتلك المرأة الطاهرة التي حازت على أكبر قسط من كريم الصفات .

وجدير بمن ينشأ في وسط ذلك البيت أن ينشأ شريفاً فاضلاً متحلياً بجميع المكارم ، لان البيت قوي في تأثيره على الطفل ، سريع السيطرة على ميول نفسه ، والطفل في دوره يتقبل كل ما يتلقاه في البيت برحابة واطمئنان .

ولا شك ان البيئة التي ينشأ فيها الطفل هي من أكبر العوامل التي تتولى توجيهه في الحياة ، لان أكثر الطبائع والعادات التي تتغلغل في نفس الانسان تكون ناشئة من مجتمعه وبيئته .

ولما كان لتغلغل الانسان في المجتمع مراحل يجتازها بالتدرج كلما اجتاز مرحلة من عمره ، فان اول ما يقع عليه نظر الطفل من البيئة هو البيت بمن فيه ، فلا يتعرف الى سواهم ، ولا يتصل بأحد غيرهم ولا يدرك ان للمجتمع متسعاً أكبر من هذا المجتمع الصغير الذي يعيش فيه .



ولكنه سرعان ما يبدو له فساد فكرته وعدم صحتها حينما يكبر ويتزعر حيث تتسع مداركه وتكبر صورة المجتمع في ذهنه بعد أن كانت محدودة ضيقة ، وهكذا تأخذ احساساته وصوره الذهنية بالاتساع شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن وقطع مرحلة من مراحل عمره .

وإذا عرفنا ان أول ما يتعلق به الطفل من المجتمع هو البيت ينبغي لنا ان نعرف بأن ميول الطفل واتجاهاته كلها بتلقاها أول الامر من محيطه البيتي الذي يعيش فيه . وفي نفس الوقت تكون كل تلك الميول والاتجاهات متغلغلة في أعماق نفسه تغلغل الغريزة .

ويجب ألا ننسى بأن كل تلك الصور التي ترسم امام الطفل في تلك المرحلة ، وتتمثل امامه في ذلك الدور ، تكون أثبت وأرسخ في قرارة نفسه مما يترأى له في مستقبله وبعد نسوه ونشأته .

وفيما ذكرناه في هذا الفصل نستطيع أن نستنتج أن بيت أبي طالب كان بيتاً يحوطه الشرف من كل جهاته وتغمره الفضائل من جميع نواحيه ، ولم تدنسه شائبة أو ضرر .

وفي وسط هذا البيت الرفيع ولد سيدنا جعفر بن ابي

طالب عليه السلام ففتح عينيه على ذنك الأبوين الكريمين  
... أب وقور كريم ، وأم برة صالحة .

فتح عينيه على وجهين صبيحين يشرق على قسماتهما  
نور الطهر والايان ، وتطفح على جوانبهما العفة والنزاهة .

فتح عينيه على صدق في الأقوال والأفعال ، وخلق  
كريم ووقار وحلم وصراحة في الحديث ونزاهة في الضمير  
وعفة في النفس .

فتح عينيه على جو بريء من الأدناس منزه عن  
الفساد فلم تصل الى سعه كذبة أو فرية ، ولم يشهد أي  
عمل لا يقره العقل ، ولا ترضاه عفة الضمير وسمو النفس .

وكان من الطبيعي أن تنعكس كل هذه الصور في نفس  
جعفر بجلاء ورسوخ ، ولا بد ان تكون تلك الصور  
— بمجموعها — ذات أثر قوي في توجيهه في الحياة والسلوك  
به في الطريق القويم .

وقد ظهرت علائم ذلك الانفعال الذي غمر نفس جعفر  
بعد مدة وجيزة من حياته لم تستغرق أكثر من سنوات  
معدودة كان جعفر خلالها شابا كاملا طاهرا .

ولا تستغرب هذا القول وتحسبه من نوع المغالاة

فليس بمستغرب من شاب يعيش في بيت يملؤه الطهر والفضيلة أن ينشأ طاهراً فاضلاً ، وليس بمستغرب أيضاً من شاب يعيش في بيت لا أثر فيه للرديلة أن يتجنب الرذائل ، بل لا يعرف منها شيئاً .

وعلى ذلك فقد كان للبيت - في دور الطفولة - أثر كبير على جعفر فقد تأثر بأخلاقه وعاداته أثراً كبيراً من دون شك .

وبناء على رسوخ تلك الاخلاق والعادات في نفسه وقوة انطباعها في تفكيره - على ما قررناه آنفاً - فان من الصعب العسير أن يطرأ تغيير وتبديل على عاداته حين يتصل بالمجتمع لان البيت - كما أسلفنا - قوي التأثير سريع السيطرة .

وسنعرض للقراء - في فصل قادم من هذا الكتاب - دعماً لدعوانا هذه شيئاً من أحوال جعفر مما يدلنا على عدم تأثره بالمجتمع الذي كان يختلف في كل شيء عن البيت الذي نشأ فيه . وسنذكر أيضاً كيف استطاع - بفضل ما انطبع في قرارة نفسه من عادات البيت وتعاليمه - ان يتغلب على عقائد مجتمعه وتقاليده .

نشأ جعفر في كنف ابيه أبي طالب وكان يرى بعينه

أن واردات أبيه المادية لا تزيد عن حاجته ومصروفاته لأنه كان ذا عيال كثير من جهة ، ومقصداً لذوي الحاجات من جهة أخرى .

لقد كان جعفر على علم بالضيق المادي الذي يخيم في بيت أبيه بين آونة وأخرى ، وكان يشاهد أباه كيف يلاقي تلك الصعوبات الاقتصادية ببشاشة وطلاقة وعدم اكتراث الى أن تنكشف عنه غياهب الضيق ، وجميع أهله لم يلمسوا أثراً لذلك على وجه أبيهم الأبر حتى أنهم لم يكادوا يفرقون بين عسره ويسره لما كان يغمرهم به من لطف دائم وعطف شامل .

وكان من بين تلك الأزمات الاقتصادية التي تمر بمكة بين حين وآخر فيعاني وطأتها ضعف الحال ومتوسطوهم ، أن أزمة شديدة جداً قد أصابت قريشاً فلاقى سيدنا جعفر خلالها عهداً جديداً في حياته إذ أدت به الى ترك المكث بين ظهرائي أبيه لتخفيف كاهله من العبء الذي أثقله باعاشة عيال كثير .

وتلخيص تلك الحادثة حسبما يرويها جماعة من المؤرخين (١) هو أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان

---

(١) تاريخ الطبري - ج ١ ص ٥٧ - وسيرة بن هشام ج ١ ص ١٥٦ وشرح النهج ج ٣ ص ٢٥١ .

ابو طالب ذا عيال كثير ، فقال محمد لعمه العباس - وكان من أيسر بني هاشم - :

يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق بنا نخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ أنت من بنيه رجلا فنكفلهما عنه .

فقال العباس : نعم . وانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقلا له انا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه .

فقال لهما ابو طالب : اذا تركتما عقيلاً (١) لي فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله علياً وأخذ العباس جعفرأ فضمه اليه . فلم يزل علي مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله تعالى نبياً فأتبعه وآمن به وصدقه . ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

وهكذا شاءت الظروف الاقتصادية القاهرة ان تنتقل بسيدنا جعفر الى بيت عمه العباس . أما متى تم هذا الانتقال ؟ فذلك ما لم يشر اليه أحد من المؤرخين ولكننا نستطيع بأن نؤكد بأن ذلك تم بعد اتمام جعفر مرحلة شبابه واشرافه على مرحلة الرجولة .

---

(١) قال ابن هشام في سيرته : ويقال طالبا وعقيلاً اهـ .

## زواج جعفر

أورد المؤرخون خبر تزويج جعفر مقتضياً جداً ، فلم يتعرضوا الى تاريخ الزواج وأخباره بكثير ولا قليل . ولم نجد - بالرغم من تتبعنا وبحثنا - ما يحدد ذلك أو يعينه اذ لم يذكروا الا أن جعفرأ تزوج بأسماء بنت عميس الخثعمية . أما متى وقع ذلك الزواج وكيف كان فهذا ما أغفله التاريخ وليس لدينا من القرائن ما يحدد لذلك زمناً ووقتاً . فلم نعلم هل تزوج جعفر وهو في بيت أبيه ؟ أو في بيت عمه العباس ؟ أو بعد استغنائه عنه وقيامه بشؤون نفسه ؟ ... هذا ما نجهله ولا نعلم شيئاً عنه .

وكل ما عندنا في ذلك هو ان جعفراً هاجر الى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة ومعه زوجته أسماء ، وانها ولدت له أولاده كلهم في الحبشة . وهذا كما يراه القارئ لا ينفعنا في تحديد عام الزواج .

أما سبب تزويج جعفر بأسماء فأغلب الظن ان ذلك

يرجع الى العفاف والطهر والشرف الذي امتازت به أسماء وأخواتها من بين النساء مما دفع بني هاشم الى ان يمتوا اليهن بسبب المصاهرة فكان العباس بن عبد المطلب زوج أختها أم الفضل والحمزة بن عبد المطلب زوج أختها سلمى، والنبي محمد (ص) تزوج أختها ميمونة .

واحاطة بالبحث يتحتم علينا التعرض بالمام الى حياة أسماء بنت عميس .

هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة الخثعمية . هكذا أورد المؤرخون نسبها من جهة الآباء ، وان كان قد وقع عند بعضهم نسيء من الاختلاف فيه .

لقد كانت أسماء امرأة صالحة ذات عفاف وشرف ، وقد كانت من المبادرات الى الاسلام والتصديق بالنبي(ص).

وقد صحبت أسماء زوجها جعفر في هجرته الى الحبشة وهناك ولدت له أولاده الثلاثة عبد الله وعدنا ومحمداً .

وقدم بها جعفر الى المدينة عام خير وبقيت معه — ولم يقرن بسواها — الى ان استشهد في غزوة مؤتة .

وبعد مقتل جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له ابنه

محمداً وبعد أبي بكر تزوجها علي بن أبي طالب (ع) فولدت له يحيى وعونا على خلاف في نسبة الأخير إليها .

وقد كان لأسماء شأن كبير ومقام محمود في الاسلام، وهي إحدى العشر اللواتي ساهن رسول الله (ص) (الآخوات المؤمنات) . كما وقد كانت من أنجب النساء وأنفذهن رأياً وأصوبهن تفكيراً ، وقد روت الحديث عن النبي (ص) وروى عنها جملة من المحدثين منهم ولدها عبدالله بن جعفر .

ومما يدلنا على عظم شأنها وجلال قدرها ما ورد في (الطبقات) من أن عمر بن الخطاب كان يغدو إليها فيسألها تأويل رؤياه ، وإن أبا بكر لما حضرته الوفاة — كما ورد في الإصابة وغيره — أوصى أن تغسله زوجته أسماء .

ولقد كانت أسماء بنت عميس هي التي تتولى تمريض فاطمة الزهراء في مرضها الذي توفيت فيه ، وهي التي صنعت لها النعش الذي حملت عليه بعد أن قصت عليها ما رآته في الحبشة حينما يحملون جناز النساء منهم .

ويجد القراء ذلك مفصلاً يذكره جميع المؤرخين في



أحوال فاطمة ووفاتها (١) .

هذا وقد كانت وفاة أسماء حوالي سنة اربعين من  
الهجرة .

(١) هناك أمر يتعلق بأسماء أحببنا ذكره والاشارة اليه -  
ولو كنا نتحدى بذلك خطة الإيجاز التي اتخذناها في  
وذلك ان جماعة من اهل الآثار رووا ان أسماء بنت  
وذلك ان جماعة من اهل الآثار رووا ان أسماء بنت  
عميس حضرت زواج علي بفاطمة وذكروا انها هي التي  
قامت بشؤون فاطمة وخدمتها ليلة الزفاف .

في حين ان أسماء بنت عميس - كما أسلفنا - هاجرت  
مع زوجها الى الحبشة بعد البعثة بخمس سنين ، ولم  
ترجع منها الا بعد فتح خيبر أي في السنة السابعة من  
الهجرة . فكيف يصح ذلك مع فرض ان زواج فاطمة  
كان في السنة الثانية من الهجرة ؟

وواقع الامر ان التي حضرت زواج فاطمة هي أسماء  
بنت يزيد بن السكن الانصاري ، ومن هنا حصلت  
الشبهة لتوافق الاسمين ، ولشهرة بنت عميس نسب  
ذلك اليها اشتباها وغلطاً ولعل ذلك من النسخ  
والوراقين .

## في الجاهلية

لم يرسل الله تعالى نبيه محمداً (ص) الا بعد أن انغمست الجزيرة بالشرور وسادها التفسخ وعمها التأخر في جميع شؤونها .

تفشت في ذلك العهد العادات الاجتماعية التي في مقدمتها وأد البنات اذ كان أحدهم اذا بشر بالأثني ظل وجهه مسوداً وهو كظيم .

وأما من ناحية التفسخ الخلقي فقد كانت الخمرة تلعب في العقول وناهيك بتفشي الخمرة - التي هي باب المآثم ومفتاح الموبقات - دليلاً وشاهداً وكذلك الميسر كان آخاً للخمرة في تفشيهِ .

وأما الحالة الدينية فقد بلغت أسفل درك من الانحطاط حيث عكف الناس على الوثنية وعبدوا الأصنام،

فكانوا ينحتون من الحجارة ما يشاءون ثم يقفون امامها خاضعين خاشعين يقدون لها القرايين والضحايا ، معتقدين انها تضر وتنفع وتعطي وتمنع ، ويزعمون انها تقربهم الى الله تعالى زلفى .

بهذا ونحوه كانت تطفح الجزيرة العربية - ومن بينها مكة المكرمة مطمح أنظار الجميع - وقد نشرت الفوضوية ألويتها في تلك الربوع التي لم يكن للإصلاح فيها من أثر .

وقد انجرف بتلك التيارات الشباب والكهول والشيوخ على السواء .

اللهم الا نفر قليل ... قليل جدا أولئك الذين أعرضوا عن تلك الموبقات واستجابوا لداعي الضمير والعقل ، وأصموا عن نداء النفس والهوى ، فنقصوا على تلك الأوضاع المتفسخة والعادات الرديئة والأفعال المنكرة التي لا يرضاها العقل الواعي ولا يقرها الضمير اليقظ الحي .

نعم . قليلون أولئك الذين ابتعدوا عن الطريق الشائك الوعر وسلكوا الطريق المعبود والمنهج اللائق .

فمن هم أولئك نفر يا ترى ؟..

وقبل معرفتهم ينبغي ان نعلم بأن هناك طائفة من الناس قد وهبوا قوة في النفس ورجاحة في العقل والتفكير تجعلهم في مأمن حصين من الانحراف بتيارات الأهواء ونزعات النفوس الميالة بطبيعتها الى الشرور والآثام .

وهذه الزمرة النادرة لم تسرع خلف أهواء النفس ، بل تأتمر بما يميله العقل فتجيب داعيه متى ما دعاها ، وما ذلك الا لان لها اتصالا وثيقا بالعقل على الدوام يؤهلها لان تكون ذات استعداد وقوة تستطيع أن تثبت بها أمام زوابع النفس والأهواء .

ويجب أن نعتبر مثل هذه الفئة من الناس أمثلة للانسانية الكاملة حيث انها تمتاز بقوة ومناعة متناهية الى أبعد ما يمكن ان يتصوره الفكر ، وذلك لانها صمدت امام قوة الهوى وميول النفس فلم تدعها تؤثر عليها أقل تأثير ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى صمدت في وجه المجتمع وقواه الزاخرة ، والمجتمع — كما أسلفنا — قوي التأثير سريع السيطرة فالذي يستطيع أن يقف امام تلك القوى ثابتاً مطمئناً يحق لنا أن نعتبره ذا مناعة قوية في نفسه تؤهله لان يكون من الأفذاذ المثاليين .

وينبغي لنا ايضاً أن نعلم بأن الموهبة العقلية تختلف  
شدة وضعفاً ، فليس كل من استضاء بما عنده من عقل  
فنبذ عبادة الأصنام وتقاليد الجاهلية اهتدى الى التوحيد ،  
فان طائفة ممن تنبهوا الى أن الاصنام لا تضر ولا تنفع  
وان عبادتها ضرب من الخرافة والباطيل نراهم قد جنح  
بعضهم الى النصرانية وبعضهم الآخر الى غير ذلك من  
الأديان ، وبعض بقي لا يدري ماذا يعبد . وهذا بمجموعه  
يبين لنا مدى الاضطراب العقلي الذي منيت به النفوس  
آنذاك .

أما الذين دانوا بتوحيد الله فهم أقل من القليل فمن  
هم أولئك يا ترى ؟..

ولا يهمننا الآن ان نعرفهم بأسمائهم بل كل ما نريد  
عرضه هو ان آباء النبي من بني عبد مناف وبعض أعمامه  
كانوا من أولئك الموحدين ، فقد كان هاشم بن عبد مناف  
— بالاضافة الى مؤهلات الزعامة التي توفرت فيه — راجح  
العقل والتفكير فلم ينجر ف بتيارات الجاهلية ولم يعبد  
الاصنام بل كان موحداً لله تعالى .

وأما ابنه عبد المطلب فقد نشأ بعيداً كل البعد عن

سفاسف الجاهلية وخرافاتها ، عازفا عن ضلالها وفسوقها ،  
يسخر بالوثنية ويدين بالتوحيد وقد عرفت فيه مكة رجلا  
طاهرا بكل ما للطهارة من معنى .

وعلى منواله سلك ابنه ابو طالب واتجه نفس اتجاهه  
القويم ، توحيد في العقيدة ونزاهة في النفس وكف عن  
المحارم والنقائص .

ولما بزغت شمس الهداية بمولد سيد الكائنات محرر  
الانسانية محمد بن عبد الله (ص) ونشأ وترعرع رأى فيه  
الناس مثالا للبراءة والنزاهة وعنوانا للفضائل ورمزا لنقاء  
النفس والضمير .

هذه المامة بسيطة كل غرضنا منها ان نرسم صورة  
خاطفة عن ألوان الحياة الجاهلية التي واجهها جعفر بن ابي  
طالب . تلك الحياة التي كانت حافلة بأنواع الشرور فقاومها  
مقاومة عنيفة وصمد امام تيارها الجارف مطمئناً ثابتاً .

لقد كان جعفر (ع) من جملة تلك الزمرة التي قلنا  
عنها بأنها استجابت لنداء ضميرها واستنارت بعقولها  
وأعرضت عن الموبقات التي تنزع اليها النفس الأمارة  
بالسوء .

ولم يمت الكريم الذي نشأ في أكنافه جعفر أكبر الأثر  
في توجيهه والاختذ بيده الى الطريق القويم والابتعاد به عن  
مهاوي الجاهلية ، ذلك بالإضافة الى ما كان يتمتع به من  
عقل وافر وتفكير صحيح .

وهكذا كانت مواجهة جعفر الى بيئته مواجهة سلبية  
بحسب لم تؤثر في عقيدته أو تهوى بعقله فتسيره في معوج  
الطرق بل كان متحفظاً من أوضاعها مترفعاً عن أوزارها  
أخذ الحذر من الانجراف بتياراتها . فلم يعبد الاصنام لانه  
رآها لا تضر ولا تنفع ، وكيف يعبد ذو رأي وعقل من ليس  
في يديه نفع ولا ضرر ؟

ولم يكذب . لانه يعتقد ان الكذب صفة ذميمة تذهب  
بالمروءة وتسلب من صاحبها ثقة الناس وهو يربأ بنفسه أن  
يكون كذلك .

ولم يقرب الزنا لانه يعتقد فيه بأنه جريمة شنعاء ودنية  
نكراء وهو أبعد ما يكون خلقاً وتربية عن ارتكاب الجرائم  
والدنايا .

ولم يشرب الخمر لانه رآها تفقده عقله وصواب رأيه  
... وكيف يرضى لنفسه أن يزيل منها ما امتاز به عن سائر  
المخلوقات واهتدى بواسطته الى الطريق القويم .

الى غير ذلك مما كان شائعاً في الجاهلية فلم يرتكب  
منه شيئاً بفضل العقل الذي وهب اياه ، والتربية الحكيمة  
التي تلقاها في بيته .

ولسنا نقول ذلك مغالاة في جعفر فان النظر في التاريخ  
يؤيد هذا الذي ذهبنا اليه .

هلم أيها القارئ واقراً معي ما ورد في ذلك (١) من  
أن الله تعالى أوحى الى رسوله محمد (ص) اني شكرت  
لجعفر بن ابي طالب أربع خصال . فدعا النبي (ص) جعفرأ  
وأخبره بذلك .

فقال جعفر : لولا ان الله أخبرك ما أخبرتك .

ما شربت خمرأ قط ، لاني علمت لو شربتها زال عقلي .

وما زنيت قط ، لاني خفت اني لو عملت عمل بي .

وما كذبت قط ، لان الكذب ينقص المروءة .

---

(١) في ( الامالي ) لابن بابويه . وفي ( البحار ) - ج ٦ - فيما  
ينقله عن ( علل الشرائع ) وفي ( روضة الواعظين )  
للفتال .



وما عبدت صنماً قط، لاني علمت انه لا يضر ولا ينفع.  
فلم يكن من النبي الا أن ضرب بيده على عاتق جعفر،  
وقال :

« حق لله عز وجل أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع  
الملائكة في الجنة » .

ان هذه الرواية لخير شاهد على ما قلناه عن سيدنا  
جعفر . فقد أرتنا كيف انه لم يتلوث بأدران الجاهلية الاولى  
ولم ينغمس في فسادها . وما أصوب تلك العلل التي عزا  
اليها سبب اجتنابه تلك الموبقات مما يؤيد ما ذهبنا اليه من  
سلامة عقله وسداد تفكيره .

وعليه فان جعفرأ الذي لم يرتض تلك الحياة الجاهلية  
التي واجهها وعاصرها لجدير به أن يجنح الى الاسلام  
ويؤمن به متى ما صدع به النبي محمد (ص) فهو — اذا —  
ينتظر تلك الدعوة المقدسة ليلبىها سامعاً مطيعاً بايمان ثابت  
وعقيدة راسخة .

## في الاسلام

ورد عن النبي محمد(ص) أنه قال : « خلق الناس من أشجار شتى و خلقت أنا وجعفر من طينة واحدة (١) » .

فكان النبي (ص) أراد أن يعبر عن طهارة جعفر ونقاء نفسه وطيب خلقه فوصفه بأنه خلق من طينته . وحسبك دليلاً بالغاً على طهارة انسان خلق من طينة الرسول الذي كان أسسى مثل للطهر والكمال . فجدير بمن يخلق من طينته أن يحدو حدوه بصفاته وأخلاقه وطبائمه وعقائده . حتى أن النبي نفسه أشار الى هذه النتيجة بحديث آخر فقال مخاطباً جعفر : « يا جعفر أشبه خلقك خلقي وأشبه خلقك خلقي فأنت مني ومن شجرتي » (٢) .

وحسبنا دليلاً - بنص شهادة الرسول - على صدق

---

(١) شرح النهج وغيره .

(٢) اللبقات الكبرى لابن سعد وغيره .

ما ادعيناه سابقا من أن جعفرأ لم ينغمر بمفاسد الجاهلية بل  
نبذ عباداتها وعاداتها ودان بتوحيد الله . وان لم يكن جعفر  
كذلك فما معنى مشابهته للنبي في خلقه وخلقه وانه من  
النبي ومن شجرته ؟..

فحري بجعفر ان يبادر الى الاسلام متى صدع محمد  
بالدعوة اليه ، لان جعفرأ مخلوق من معدن النبوة فنشأ  
نشأة طاهرة وقد حباه الله عقلا سليما وتفكيراً صحيحاً ،  
مضافا الى انه ابن ابي طالب وخريج مدرسته ، وأبو طالب  
هو ذلك الاب البر والمربي الصالح والمعلم الحكيم الذي  
ربى فأحسن التربية وأدب على أحسن وجوه التأديب . وان  
في أولاده البررة الاطهار خير دليل على ذلك ، فان ابنه عليأ  
هو أول من آمن بالنبي واتبعه وصدقه وجعفرأ أيضا تلا  
أخاه عليأ بالاتباع والتصديق بأمر من أبي طالب كما سيأتي.

ولقد مر في فصل سابق الاشارة الى كفالة ابي طالب  
للنبي وقيامه بتربيته . وهنا نضيف الى ذلك ان أبا طالب  
كان هو الساعد القوي لمحمد والمؤيد المصدق له في نبوته .  
فقد ورد أن أبا طالب لما عثر على محمد وعلي يصليان ، قال  
لعلي : « يا بني ما هذا الدين الذي أنت عليه » .

فقال علي : « يا أبه آمنت بالله ورسوله وصدقته بما

جاء به وصليت معه لله .

فلم يكن من أبي طالب الا أن قال له : « اما انه لا يدعوك الا الى خير فالزمه » (١) . مما يدلنا على اعترافه وتصديقه بنبوة محمد والا لما ألزم ابنه باتباعه .

فمنذ صدع محمد بالنبوة وقف له ابو طالب عوناً وعضداً ومساعداً فكان محمد في مأمن من فتك قريش وأذاهم بعمه أبي طالب الذي كانت تدين له قريش بالزعامة والاحترام فكان ابوطالب لا ينفك عن حماية النبي والذب عنه قريش أن يغتالوه فخرج وأخذ معه ابنه جعفرأ في طلب النبي فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلي وعلي معه عن يمينه، فلما رآهما أبو طالب سكن روعه واطمأن قلبه ، وقال لابنه جعفر : « تقدم وصل جناح بن عمك » فقام جعفر عن يسار محمد فلما صاروا ثلاثتهم تقدم رسول الله وتأخر الاخوان فبكى أبو طالب وقال :

ان علياً وجعفرأ ثقتي

عند ملسم الزمان والكرب

---

(١) تاريخ الطبري - ج ٢ ص ٥٨ .

(٢) شرح النهج واسد الغابة .

والله لا أخذل النبي ولا

يخذله من بنيّ ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما

اخي لامسي من بينهم وأبي

فلما فرغ النبي من صلاته التفت الى ابن عمه جعفر  
قائلا :

« يا جعفر وصلت جناح ابن عمك ، ان الله يعوضك  
عن ذلك جناحين تطير بهما في الجنة » .

وعلى هذا فاز اسلام جعفر يكون من ذلك اليوم .  
أرأيت - ايها القارئ الكريم - كيف أقر أبو طالب  
ابنه علياً على اعتقاده بمحمد وأمره بلزوم اتباعه .

ثم أرأيت كيف أمر ابنه جعفرأ بالصلاة خلف النبي  
واعتناق دينه ، فلو لم يكن أبو طالب مؤمناً بنبوة محمد  
لما أقر ابنه الاول ، وأمر ابنه الثاني باتباع الرسول .

ولكنك - مع ذلك كله - لو رجعت الى التاريخ  
لتنظر كلمته التي يقولها عن عقيدة ابي طالب .. لرأيت

شيئا عجبا ...

وهنا رأينا أذ الواجب يحتم علينا أن نتعرض لاثبات  
اسلام أبي طالب بشيء من الالمام خدمة للحقيقة وكشفاً  
للوابع ، ودعما لما سبق أن ادعيناه من توحيد أبي طالب  
ونزاهة عقيدته وتأثير ذلك في ولده جعفر .

ولسنا حين نريد الكلام عن اسلام أبي طالب نأتي  
بشيء جديد فقد ألف في ذلك جماعة من الاوائل والاواخر  
عدة مؤلفات أثبتت اسلامه بحجج قوية وأدلة محكمة

ونحن لا نبغي أن نستقصي الأدلة كلها من حديث  
وغيره بل انما نذكر منها ما يؤدي بايجاز والممام الغرض  
المطلوب .

المعروف عن أبي طالب أنه كان شاعرا مجيدا وقد  
وردت عنه أشعار كثيرة يتبين منها اسلامه ويستدل بها على  
ايمانه فمن ذلك ما جاء في قوله من قصيدة يذكرها ابن ابي  
الحديد في شرح النهج (١) ويقول عنها بأنها من شعوره  
المشهور :

---

(١) شرح النهج ج ٣ ص ٣١٥ .

أنت النبي محمد قرم أغر مسود

وقوله من أبيات :

ألم تعلمنا انا وجدنا محمداً نبياً

كموسى خط في أول الكتب (١)

وقوله من قصيدة أخرى :

نبي أتاه الوحي من عند ربه

فمن قال لا يقرع بها سن نادم (٢)

ففي الايات المتقدمة تصريح منه بأن محمداً نبي من

الله فهل يصح أن يعتبر كافراً من يؤمن لمحمد بالنبوة؟..

ثم هو يتعدى ذلك الى الاعلان عن تصديقه بمحمد

فيقول من جملة أبيات :

---

(١) ذكرها ابن هشام في سيرته ، وابن دحلان في اسنى

المطالب والالوسي في بلوغ الارب وابن ابي الحديد في

شرح النهج وغيرهم .

(٢) شرح النهج .

فأَمسى بن عبد الله فينا مصدقاً

على سخط من قومنا غير معتب (١)

ويصف بعد ذلك حمايته لمحمد وذبه عنه معبراً عنه  
برسول الأله فيقول :

أذب وأحمي رسول الاله

حماية حان عليه شفيق (٢)

وتراه في غير هذا المقام يصرح بتوحيده في العقيدة  
مؤمننا بالاله الذي بعث محمداً بالنبوة فيعلن هدايته به  
رغم ذوي الضلال فيقول :

يا شاهدا الله علي فاشهد

آمنت بالواحد رب احمد

من ضل في الدين فاني مهتدي (٣)

---

(١) في كامل ابن الاثير وغيره .

(٢) شرح النهج .

(٣) شرح النهج وغيره .



وحين بلغه ايمان أخيه حمزة أنشأ يقول مثبتاً له على  
الاسلام ، ومطالباً له بالدفاع عنه ، وتصديق محمد في نبوته :

هلم أبا يعلى الى دين أحمد  
وكن ناصراً للدين وفقت صابرا

وحط من أتى بالحق من عند ربه  
بصدق وحزم لا تكن (حمز) كافرا

فقد سرنى أن قيل انك مؤمن  
فكن لرسول الله في الله ناصرا

وباء قريش بالذي قد أتيتـه  
جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

وأما قصيدته اللامية التي يتجاوز عددها المائة بيت  
فهي من أشهر شعره ، اذ يقول عنها ابن أبي الحديد :  
« أن شهرتها كشهرة ( قفا نيك (١) ) وإن جاز الشك فيها  
وفي أبياتها جاز الشك في قفا نيك » .

---

(١) هي معلة امرئ القيس المشهورة وأولها :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

بسطة اللوا بين الدخول فحول

ونحن لا يسعنا - حرصاً على الإيجاز - أن نثبتها  
بكاملها وإن كانت من غرر الشعر ، بل نكتفي بإيراد بضعة  
آيات منها كشاهد على إسلامه فاقراً له منها قوله : (١)

أعوذ برب البيت من كل طاعن  
علينا بسوء أو يلوح بباطل

ومن فاجر يفتاننا بمغيبة  
ومن ملحق بالدين ما لم نحاول

كذبتم وييت الله نبزي محمداً  
ولما نطاعن دونه وتناضل

ونصره حتى نصرع دونه  
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

---

(١) انظر شرح النهج - ج ٢ - . وقد اورد منها ابن هشام  
في سيرته أربعة وتسمين بيتاً، وذكرها الشيخ عبد القادر  
البغدادي بطولها مشروحة في الجزء الاول من « خزنة  
الادب » ، وأورد قسماً منها الدحلاني في « اسنى  
المطالب » وذكر عشرة آيات منها الالوسي في ( بلاوغ  
الارب ) كما وذكرها غير هؤلاء جماعة ممن لا يسعنا  
سرد أسمائهم .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم  
فهم عنده في نعمه وفواضل  
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب  
لدينا ولا نعبأ بقول الاباطيل  
فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها  
وشيناً لمن عادى وزين المحافل  
وأيده رب العباد بنصره  
وأظهر ديننا حقه غير باطل

وعلى أية حال فان هذه بعض الاشعار التي اتقيناها  
من شعر أبي طالب نستدل بها على صريح اسلامه  
وتصديقه بنبوّة محمد .

وليت شعري ماذا يراد من أبي طالب في الاستدلال  
على اسلامه أكثر من اعترافه وقوله : ان محمداً نبي غير

مكذب في دعوته النبي جاء بها من الله الواحد ، ثم يدعو الى مناصرته وعدم خذلانه ، وأخيراً يبتهل الى الله باظهار دينه .

فلا أعلم هل يطلب من الانسان المسلم أكثر من هذا الاعتراف وهذه العقيدة ، في حين اننا اذا اردنا ان ندرس حياة انسان لا نعرف عن مبدئه وعقيدته شيئاً نرجع الى أقواله وما أثر عنه — من شعر أو ثر — لعلنا نقف فيها على ما يه رح أو يلمح بذلك ، فاذا لم نجد ما يغنيننا نرجع الى التأويلات لكلامه فننسبها الى ما يناسبها من المبادئ والمعتقدات .

فلا أدري لماذا لا تؤخذ بنظر الاعتبار أقوال رجل يعترف لمحمد بالنبوة على النحو الصريح الذي أشرنا اليه

أما عن صحة نسبة ذلك الشعر الى أبي طالب فلنترك الحديث عنه الى ابن أبي الحديد المعتزلي فإنه يقول :

« ان كل الاشعار قد جاءت مجيء التواتر لانه ان لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد ، ومجموعها متواتر ، كما ان كل واحدة من قتلات علي الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته . وكذلك القول

بسخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء أياس وخلاعة  
أبي ثؤاس .

فإذا كان مجموع شعر أبي طالب بهذه المنزلة من  
التواتر فكيف لا يكون دليلاً قاطعاً على إسلامه وتصديقه  
بالنبوة ، وها هو ابن أبي الحديد يروي لنا بأن صديقه  
علي بن يحيى البطريق كان يقول :

« لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب  
وهو شيخ قریش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه  
محمداً وهو شاب قد ربي في حجره وهو يتيمة ومكفوله . »  
ثم هو يورد نماذج من شعره مما سبق أن أوردنا بعضه  
ويقول :

« ان هذا الأسلوب لا يمدح به التابع والذنابي من  
الناس ، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء ، فإذا تصورت  
أنه شعر أبي طالب ذلك الشيخ المبجل المعظم في محمد وهو  
شاب مستجير به معتصم بظله من قریش قد رباه في حجره  
غلاماً وعلى عاتقه طفلاً وبين يديه شاباً يأكل من زاده ويأوي  
إلى داره علمت موضع خاصة النبوة وسرها . »

ولكن ابن أبي الحديد المعتزلي بعدما أورد كل ذلك

مما يصح أن يكون دليلاً على إسلام أبي طالب تراه يعلن  
توقفه عن القول بإسلامه فيقول : « وأنا في أمره من  
المتوقفين » ويعزو ذلك إلى تعارض الأحاديث عنده .

وابن أبي الحديد الذي توقف في القول بإسلام أبي  
طالب ، تراه يعترف بأنه لولا أبو طالب لما قامت للإسلام  
دعامة فيقول في شرح النهج ما نصه : « صنف بعض  
الطالبيين في هذا العصر كتاباً (١) في إسلام أبي طالب وبعثه  
إلي وسألني أن أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه  
بصحة ذلك وبوثاقة الأدلة عليه فتخرجت أن أحكم بذلك  
حكماً قاطعاً لما عندي من التوقف فيه ، ولم استجز أن أقعد  
عن تعظيم أبي طالب فأنا أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام  
دعامة ، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى  
أن تقوم الساعة فكتبت على ظاهر الجلد أياتاً » :

ولولا أبو طالب وابنه

لما مثل الدين شخصاً وقاماً

---

(١) هو كتاب ( الحجة على الزهاد في تفكير أبي طالب )  
للامام شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي الذي  
كان عالماً فقيهاً نسابة راوية أديباً شاعراً توفي سنة ٦٣٠هـ  
والكتاب المذكور مطبوع في النجف سنة (١٣٥١) هـ .

فهذا بمكة آوى وحامى

وهذا يثرب لاقى الحماما

فله ذا فاتحاً للهدى

ولله ذا للمعالي ختاماً

وما ضر مجد أبى طالب

جهول لغا أو بصير تعامى

ولا يخفى أن أهم ما جلب الشبهة لغير القائلين  
باسلامه هو عدم جهره بالاسلام ، وقد غاب عنهم ما في ذلك  
من العز والمنعة للاسلام اذ لو صرح أبو طالب باسلامه  
لجأه رته قريش بالعداء ولما استطاع أن يدفع عن محمد شيئاً .  
وحتى ابن أبي الحديد نفسه يذكر ذلك في صدد عرض حجة  
القائلين باسلامه فيقول : « وانما لم يظهر أبو طالب الاسلام  
ويجأه به لانه لو أظهره لم يتهياً له نصرة النبي ولكان  
كواحد من المسلمين الذين أتبعوه نحو أبي بكر وعبدالرحمن  
ابن عوف وغيرهما ممن أسلم ، وانما تمكن ابو طالب من  
المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش » .

نعم كان الامر كذلك فلم يظهر ابو طالب اسلامه

لصالح الاسلام ولذلك تراه حين حضرته المنية ، ولم يخش ما كان يخشاه سابقا وصرح باسلامه ، وذلك على ما يرويه ابن أبي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج بأسانيد عديدة ، مرة عن العباس بن عبد المطلب وأخرى عن أبي بكر بن أبي قحافة : « ان أبا طالب ما مات حتى قال لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وذكر ابو الفداء في « تاريخه » انه لما تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفقيه فأصغى اليه أخوه العباس بأذنه ليسمعه فالتفت الى النبي وقال : « يا ابن اخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها » . فقال رسول الله « الحمد لله الذي هداك يا عم » .

ففي هذه الرواية والتي تقدمتها دلالة صريحة على جهر أبي طالب بالاسلام عند الموت .

ومزيداً لذلك ننقل ما أخرجه ابن سعد في (الطبقات) من أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب وقال لهم :

« لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما أتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا » .



فكيف يقبل العقل انه يأمر ذويه باتباع محمد وهو لا يتبعه ؟ وهل ذلك الا عمل مهين لا يسكن ان يصدر من انسان عادي فكيف بصدوره من رجل عاقل حكيم كابي طالب ؟

وفد نقل الحلبي في « سيرته » - وجماعة غيره من المؤرخين - وصية ابي طالب التي قالها في وجهاء قريش قبل وفاته . ولولا خوف الاطالة لذكرناها بنصها فانها طافحة بالحكمة والخلق العالي الرفيع فجاءت خير معبر عن سلوك أبي طالب وشخصيته . وقد جاء فيها قوله عن محمد « اني أوصيكم بمحمد خيراً فقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن » . وفي هذا تصريح منه باسلامه اسلاماً راسخاً في جنانه، كما وفيه تعليل لسر اخفائه الاسلام . وحين توفي أبو طالب (١) حزن عليه النبي وبكاه واستغفر له ، وذلك حسبما روى ( ابن عساكر ) في تاريخه و ( ابن سعد ) في طبقاته عن علي بن أبي طالب (ع) قال « أخبرت رسول الله بموت أبي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواراه (٢) غفر الله له ورحمه » .

---

(١) كانت وفاته في السنة العاشرة بعد البعثة وعمره نيف وثمانون سنة .

(٢) وانما لم يصل عليه النبي لان الصلاة على الاموات لم تكن مفروضة بعد .

وأخرج ابن سعد في ( الطبقات ) عن العباس بن عبد المطلب أنه سأل رسول الله «أترجو لأبي طالب خيراً؟» فقال رسول الله « كل الخير أرجوه له من ربي » .

ولا ندري اذا كان أبو طالب مات مشركا كيف يرجو له النبي من ربه كل الخير ..؟ ثم كيف يبكيه ويترحم عليه ويستغفر له ..؟ والله تعالى يقول « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى » . هذا بالإضافة الى ما يترتب على تصديق أبي طالب بنبوّة محمد من أثر كبير في توجيه ابنه جعفر . اذ ان اسلام جعفر كان نتيجة عدة عوامل اجتمعت له وهي : طبيعته وفطرته السليمة وطهارة خلقه التي شارك فيها الرسول ، هذا أولا ويأتي بعده التربية البيتية الصحيحة التي تلقاها جعفر عن أبويه الكريمين مما سبق أن أشرنا اليه في محله ، وأخيرا يأتي توجيه أبي طالب له وأمره بالصلاة خلف محمد يوم خرجا معاً يفتشان عن محمد على ما ذكرناه في اوائل هذا الفصل .

وعليه فان اسلام جعفر يكون من ذلك اليوم .

ولكننا لو رجعنا الى أقوال المؤرخين في اسلام جعفر لوجدنا فيها اضطرابا ، فبينما تراهم يجمعون على أن جعفراً

كان من المبشرين الى الاسلام اذا بهم يروون أنه أسلم بعد خمسة وعشرين أو واحد وثلاثين شخصاً .

روى ابن حجر في الاصابة أن جعفرأ كان أحد السابقين الى الاسلام .

ويقول صاحب « أسد الغابة » انه اسلم بعد اسلام أخيه علي بقليل .

ولكن ابن حجر بعدما ذكر ما رويناؤه عنه يقول ( انه اسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً ، وقيل بعد واحد وثلاثين ) .

ولا ندري كيف نجتمع بين قوله ؟ وهل اسلام جعفر بعد عدد يناهز الثلاثين أو يجاوزهم يصح أن يجعله أحد السابقين .

ويذكر ابن سعد في ( الطبقات ) : ان جعفرأ أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم (١) ويدعو فيها .

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم سابع سبعة أو عاشر عشرة . وفي داره كان النبي مستخفياً من قريش وكانت داره على الصفا فأسلم فيها جماعة كثيرة . وعاش الأرقم الى أيام معاوية فمات سنة (٥٥) أو (٥٣) للهجرة وهو ابن (٨٥) سنة .

والمعروف ان الأرقم هذا كان سابع سبعة أو عاشر  
عشرة ومنذ أن أسلم اتخذ النبي داره مركزاً سرياً لنشر  
الدعوة الإسلامية

وإذا كان جعفر قد أسلم قبل دخول رسول الله دار  
الأرقم الذي هو سابع المسلمين أو عاشرهم فكيف يصح  
القول بأن جعفرأ هو الخامس والعشرون أو الجادي  
والثلاثون ممن أسلموا .

أرأيت هذا الاضطراب في الاقوال مما لا يصح أن  
يؤخذ به على علاته بل يجب تمحيصه وتدقيقه على ما فعلنا  
واستنتجنا من أن جعفرأ أسلم بعد أخيه علي مباشرة منذ  
أن صلى معه خلف النبي يوم كانت الدعوة الإسلامية  
بمنتهى الخفاء .

## الى الحبشة

كان جعفر بن ابي طالب (ع) يلقب ( ذا الهجرتين )  
لانه هاجر من مكة الى الحبشة اولاً ، ثم من الحبشة الى  
المدينة ثانياً .

وكان سبب الهجرة الى الحبشة هو الاضطهاد  
والتنكيل الذي اقيمه المسلمون من مشركي قريش وطواغيتهم .

وذلك ان النبي (ص) منذ أن صدع بنبوته تنكرت  
له قريش واتهمته بالسحر والكذب بعدما كانت تدعوه  
( الصادق الامين ) . وقد بذلوا قصارى جهدهم في رده  
عن دعوته وكفه عن دينه الجديد الذي يدعوهم الى نبذ  
عقائدهم وترك عبادة الاصنام ، فلم يستطيعوا أن يردوا بذلك  
محمداً عن شيء مما كان يدعو اليه .

وقد كان بودهم لو استطاعوا أن يفتالوا محمداً ، أو  
يذيقوه من الأذى ما يضطره لان يترك دعوته ، ولكنهم لم

يقدرُوا على شيء من ذلك لمنزلة محمد من أبي طالب .  
وأبو طالب يومئذ شيخ البطحاء المحترم وسيد قریش المطاع  
الذي له فيهم من المكانة والمنزلة ما لم يكن في وسعهم أن  
يؤذوه أو ينالوه بسوء . وليس لقریش والحالة هذه إلا أن  
يجتمعوا لمفاتيحة أبي طالب بأمر ابن أخيه محمد ويطلبوا منه  
أن يكلم محمداً ليتركهم وما يعبدون ، فإذا لم يقدر على  
ارجاعه عن دينه الجديد فليخل بينهم وبينه ليفعلوا به ما  
يشاءون انتقاماً لآلهم التي سفها محمد وزعم انها ضرب  
من الاضاليل والباطيل .

ولما لم يجبه أبو طالب الى سؤالهم من تسليم محمد  
اليهم لم يجد بداً من أن يعدهم بمفاتيحة محمد في الامر  
— مجاملة للقوم — ليرى رأيه فيما يقولون .

وعلى هذا فقد أقبل أبو طالب الى ابن أخيه وقال له (١)

« يا بن أخي ان قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا فأبى  
علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق » . قال  
ذلك وبقي ينتظر جواب ابن أخيه فإذا به يقول له : ( يا عماء  
لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن  
أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ) ثم

---

(١) تاريخ الطبري .

استعبر باكياً وقام . فلما رأى أبو طالب ذلك منه ناداه  
فرجع إليه وقال له : « اذهب يا بن أخي وقل ما أحبيت  
فوالله لا أسلمك لشيء أبدا » .

ومما قاله أبو طالب في ذلك مخاطباً النبي في الماضي  
بلعوته ومعتزفاً بدينه الذي بعث به :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم  
حتى أوسد في التراب دفيناً

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة  
وابشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي  
ولقد صدقت وكنت قبل أميناً

وعرضت ديناً قد علمت بأنه  
من خير أديان البرية ديناً (١)

---

(١) ذكر هذه الايات جماعة نذكر منهم ابن ابي الحديد في  
« شرح النهج » وابن دحلان في « أسنى المطالب »  
والزمخشري في « الكشاف » . والبيت الاول منها في  
( السيرة الحلبية ) . والبيتين الآخرين في « بلوغ  
الأرب » وفي ( خزانة الادب ) .

وهكذا بذل أبو طالب كل جهده بالمحافظة على محمد فكان يحوطه بالعناية والرعاية ويدفع عنه الأذى والعدوان حتى جعله يتمتع بمنعة وقوة نقية كل ما يخشى من كيد المشركين .

ولما لم يجد المشركون فسحة من المجال لصد محمد (ص) والحيولة بينه وبين نشر دينه بسبب مكائده من عمه أبي طالب ، فقد قرروا فيما بينهم ان يعذبوا أتباعه ومصدقيه ويذيقوهم ضروب الأذى والتكيل ليكفوا عن انباعه وإظهار دينه ، وقاموا فعلا بتطبيق هذه الفكرة فوثبت كل قبيلة منهم على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب (١) .

وكان قد مضى على نزول الوحي وبعثة الرسول خمس سنوات ازداد خلالها عدد المسلمين فلاقى المستضعفون منهم أذى عظيما وتعذيبا لا يطاق ، ولكنهم قد تحملوا وصبروا ولم يثنهم العذاب عن دينهم القويم بل ثبتوا عليه ،

---

(١) تاريخ الطبري وتاريخ أبي الفداء وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وغيرها .



وهكذا اذا تغلغل الايمان في القلب واستقر في أعماق النفس يهون عنده العذاب ويستطاب فيه تحمل الأذى .

وحين كان المستضعفون من المسلمين يملكون بتلك المحنة الشديدة كان النبي (ص) يفكر في أمرهم ليله ونهاره وقد أقض مضجعه أن يلاقي أتباعه ذلك العذاب .. ولكنه بماذا يستطيع أن يرد عنهم ..؟ وهو لا يملك من مواساتهم الا الحزن والجزع لهم ، والتفكير باجتياز لهذه العقبة الكأداء التي تعترض دينهم القويم .

ولم يجد النبي من خلاص لهم الا ان يغادروا مكة ويتفرقوا في الارض لينجوا بأنفسهم من العذاب الى ان تقوى شوكة الاسلام .

فلم يكن لدى النبي (ص) الا هذا الحل الوحيد كمنخرج لهم من محنتهم ، فالى أين تكون وجهتهم في هجرتهم ..؟ والى أي الاقطار يولون وجوههم فرارا من عذاب قریش ..؟

وسرعان ما قرر النبي الوجهة التي سيرسل اليها المهاجرين من أتباعه ، ولم يقع اختياره الا على (الحبشة) .. وذلك لبضعة أسباب كان في مقدمتها ان الحبشة تحت حكم

ملك عادل (١) لا يظلم عنده أحد ولا يتعدى في بلاده على حرية الاديان ، وكان اللاجئين الى مملكته لا يضطهدون بل يلقون عناية ورعاية منه .  
أضف الى ذلك أن أرض الحبشة كانت آنذاك متجراً

---

(١) اسمه ( اصحمة ) و ( النجاشي ) لقب له حيث يختص بهذا اللقب ملوك الحبشة ، مثل لقب ( كسرى ) عند الفرس و ( قيصر ) عند الروم .  
وقد كان النجاشي أبعد الملوك عن الظلم وأحبيهم للأحسان وبناء على هذا رأى النبي ان يهاجر المسلمون الى مملكته . ولما هاجروا اليه اكرم مثواهم وآمنهم من خوفهم .

وحين كادت قريش المسلمين عنده - على ما سيأتي في الفصل القادم - لم يسمع قولهم بل ردهم يائسين .  
وقد أسلم النجاشي ملك الحبشة على يدي جعفر بن ابي طالب باتفاق المؤرخين . وكانت وفاته في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة النبوية ، ولما مات ترحم النبي عليه وقال مات اليوم رجل صالح فقوموا وصلوا على أخيكم أصحمة . يقول جابر بن عبد الله الانصاري حسبما يروي البخاري عنه في صحيحه وغيره - ان النبي صلى على النجاشي وصفنا وراءه فكننت في الصف الثاني .

لقريش يجدون فيها رزقا وأمانا ومتجرا حسنا فهم حين يهاجرون اليها فليست هي بالبلاد التي لم يعرفوا عنها شيئا مطلقا بل لهم معها علاقات اقتصادية وروابط تجارية أكيدة.

ولهذه الاسباب التي ذكرناها ، أمر النبي بالهجرة الى الحبشة دون سواها من الاقطار ، فاستعد بعض المسلمين وهياًوا أنفسهم للهجرة فخرجوا متسللين سرا ، منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة (١) وساروا حتى انتهوا الى الشعيبة (٢) منهم الراكب والماشي ، وكان ذلك في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة

وكان من حسن الصدف لهؤلاء المهاجرين أن وجدوا ساعة وصولهم الى الشعيبة سفينتين للتجار فحملوهم فيهما الى أرض الحبشة بنصف دينار عن كل مهاجر منهم .

وقد بلغ خبر هذه الهجرة قريشاً فخرجوا يجدون في طلبهم ايحولوا بينهم وبين هجرتهم ويمنعوهم من مغادرة مكة .. اذ انهم حسبوا لهذه الهجرة الف حساب وحساب

---

(١) تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد وغيرهما .

(٢) الشعيبة : هي مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جده ولا تزال معروفة هناك .

فبينما هم يريدون اخماد الدعوة الإسلامية وهي في مهدها فلم يستطيعوا ، فكيف يتسنى لهم ذلك اذا فلت من أيديهم زمام قمعها وانتشرت في بلاد غير بلادهم بسبب هؤلاء المهاجرين الذين سيكونون - ولا شك - السنة لبث هذا الدين الجديد في البلاد التي هاجروا اليها حينما يشعرون بالدعة والاطمئنان .

خرجوا بطلب المهاجرين وهم مدفوعون بهذا التفكير، ولكنهم يريدون شيئاً أراد الله خلافه وليس فوق ارادة الله شيء فقد نجا المهاجرون ولم يدرك المشركون لهم أثرا .

ولقد كان من بين المهاجرين الى الحبشة هذه المرة عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ، والزبير ابن العوام ، وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف ..

فقدموا جميعا الى الحبشة فوجدوا بها سلامة وأماناً فذهب ما في قلوبهم من روع وخوف فعبدوا الله وأقاموا معالم دينهم من دون أن ينالهم أذى أو مكروه .

وبقي هؤلاء المهاجرون في الحبشة بقية شهر رجب وشعبان ورمضان وفي شوال بلغهم ان قريشاً دانوا بالاسلام وأتبعوا محمداً وكان الشوق قد غمرهم الى ديارهم وأهلهم وسئموا الغربة مع ما فيها من راحة وأمان وهدوء

بال فقفلوا راجعين الى مكة لاعتقادهم بانتفاء أسباب الهجرة ، فلما حاذوها تبين لهم كذب ما بلغهم من اسلام قريش وان المسلمين لا يزالون مضطهدين ، فأشار بعضهم بالرجوع الى الحبشة ، ورأى البعض الآخر ان يدخلوا مكة ليجددوا عهدا بأهاليهم ويرجعون بعدئذ من حيث أتوا ، وأخيرا استقروا على هذا الرأي فدخلوا مكة بتحفظ واستخفاء ومكثوا فيها مستخفين الا عبد الله بن مسعود فإنه قد بقي بمكة يسيراً ثم قفل راجعا الى الحبشة .

وعلمت قريش بأمر هؤلاء الراجعين من الحبشة سرا فأذاقوهم أذى كثيرا وألوانا من العذاب الذي لا يطاق ، وكانت حينذاك مقاطعة قريش لمحمد وعنه أبي طالب قد بلغت أشدها حيث جهر أبو طالب بمناصرة محمد وحمايته من أذى المشركين .

عند ذلك رأى النبي (ص) أن يأمر المستضعفين من أصحابه بالهجرة الى الحبشة مرة اخرى ليسلموا بدينهم وأنفسهم من عدوان المشركين حيث كثر الاضطهاد واشتدت الازمة بين الطرفين الى أبعد ما يتصور من الشدة .

ولكن هذه الهجرة لم تكن كالهجرة الاولى من ناحية قلة عدد المهاجرين اذ ازداد عددهم بنسبة ازدياد المسلمين

أولاً ، وشدة ايذاء قريش لهم ثانياً ، حتى بلغ عدد المهاجرين هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلاً واحدى عشرة امرأة قرشية وسبعة نساء غير قرشيات .

وقد كان من بين هؤلاء المهاجرين سيدنا جعفر بن ابي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس ، وحين أزمع جعفر الرحيل مع المهاجرين خرج النبي (ص) الى توديعه ودعا له بهذه الكلمات : « اللهم الطف به في تيسير كل عسير فان تيسير العسير عليك يسير ، أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة » .

وهكذا هاجر أولئك المسلمون الى أرض الحبشة بدينهم القويم الذي نبذته قريش فهربوا به خائفين حتى يأذن الله تعالى له بالظهور والانتشار فيعم الجزيرة ويتعدها الى أقصى الارض .

وهكذا كان الايمان يعمر القلوب ، وكانت العقيدة تترك مفعولها القوي في النفوس فتدفع الانسان يضحي بنفسه وبكل ما لديه ويتحمل الأذى والعذاب ويؤثر الغربة فيهاجر الى البلاد القاصية ليسلم على دينه وعقيدته .

وصل المهاجرون الى الحبشة وهم راضون بتلك الغربة في البلاد النائية لانهم وجدوا فيها أمناً مستقراً وسلامة

لدينهم الذي فروا من أجله على وجوههم .  
ويجدر بنا - قبل أن نختم هذا الفصل - أن نتأمل  
في السبب الذي اضطر جعفرا الى الهجرة مع من هاجر من  
المسلمين الى الحبشة . فهل نصيب الواقع لو قلنا أنه كان  
كثيره ممن لاقى العذاب والأذى فهاجر فرارا من الأذى  
والعذاب ...؟

كلا . فهذا لا يصح أن يكون سببا . وذلك لان العذاب  
والأذى لم يشمل عامة المسلمين بل كان يخص غالبا  
المستضعفين منهم ، هذا والنبي (ص) لم يصبه أذى وهو في  
كنف عنه أبي طالب ، وهكذا كان علي والحزمة بن  
عبد المطلب فانهما بقوتهم وبمكانهما من أبي طالب لم يصل  
اليهما أي مكروه . وهكذا كان الامر في جعفر فهو ممن  
يستطيع أن يحتمي بنفسه أولا وبأبيه ثانيا .

فما هو سبب هجرة جعفر اذاً اذا كان في مأمن من  
الخوف والأذى والاضطهاد ؟

ان النبي (ص) هو الذي أمره بالهجرة مع المهاجرين  
لا خوفا عليه ولكن ليكون أميرا عليهم فيتولى ادارة  
شؤون المهاجرين من جهة ويكون ممثلا عن النبي ليقوم  
بنشر الدعوة وتفهم مبادئها من جهة أخرى . وفي جعفر من  
المؤهلات ما أوقع اختيار النبي لتلك المهمة عليه دون سواه،

اذ انه يعهد فيه من راحة العقل واصالة الرأي وتفهم مبادئ الاسلام ما لم يتسن لغيره ، فاختره النبي كممثل عنه في تلك البلاد ، وغير خاف أن النبي لم يأمر المسلمين بالهجرة لمجرد دفع الأذى عنهم ، بل أراد أيضا ان ييث دعوته في الانحاء والاقطار ، وعلى هذا أرسل فيهم ابن عمه جعفرأ ليقوم بتلك المهمة .

واذا كان التاريخ لم يذكر امارة صريحة لجعفر على المسلمين في الهجرة فان الحوادث التي وقعت للمهاجرين هناك تقر بذلك ، وتشهد لجعفر بأنه كان لسان المهاجرين وقائدهم ومرشدهم ، وسيرى القارىء في الفصل الآتي ما يؤيد هذه الدعوى .

وقد ورد في ثنايا كتب التاريخ ما يشير الى ذلك اذ أورد ابن سعد في الطبقات - حينما تعرض لذكر الهجرة الى الحبشة - قوله : ( وقد روي لنا أن أميرهم في الهجرة جعفر ) .

وذكر ( ابن كثير ) في تاريخه بأن جعفرأ كان هو المقدم على المهاجرين والمترجم عنهم عند النجاشي .

وفي غير هذين الكتابين شيء كثير من التلميح والاشارات مما لو ضممناه الى الحوادث لأعلمنا علما قطعيا بأن جعفرأ كان أمير المهاجرين الى الحبشة .



## مكيدة قريش

لما علمت قريش ان المهاجرين من المسلمين يتمتعون  
برعة واطمئنان في بلاد الحبشة التي فسحت لهم من المجال  
ما يجعلهم يعبدون الله وهم في أمن من الخوف والعذاب  
الذي كان المشركون يسومونهم به ، راحت تفكر في الامر  
بمزيد من الاهتمام ، لانها خشيت نشر الدعوة الاسلامية  
وتعميمها في الاقطار البعيدة النائية ، وحينئذ يكسب  
المسلمون من القوة والمنعة ما يضيق له صدر قريش ، ان  
لم يكن في وسعهم بعدئذ صد الدعوة والوقوف في وجهها  
فيؤول أمرهم الى الانحسار والخذلان أمام الاسلام  
جبراً وقهراً .

قلّبوا وجوه الرأي والحيلة ليلهم ونهارهم فلم يجدوا  
أحسن من مكيدة المسلمين المهاجرين والسعاية بهم عند  
النجاشي ملك الحبشة فقرروا ارسال بعثة منهم تقوم بهذه  
المهمة على أن يكون رأس البعثة رجل يتذرع بحيلة واسعة

ودهاء كبير لينجح في مكيدته ، ويذيق المسلمين التنكيل الذي فروا منه ثم يبذل جهده لارجاعهم الى مكة حيث يتسنى لهم القضاء على الاسلام وهو في مهده الاول .

ولم يطل تفكيرهم بالشخص الذي يرشحونه للقيام بتلك المهمة الكبيرة التي يعلقون عليها كبير أمل في القضاء على الاسلام ، بل وقع اختيارهم على ( عمرو بن العاص ) لانهم يعهدون فيه من الدهاء ما يبشرهم بنجاح المهمة التي ألقوها على عاتقه .

ولم يستمع عمرو حينما عرضوا عليه ذلك الامر .

وليس هناك من شك في قيام عمرو بن العاص بتلك المهمة لان جميع المؤرخين اتفقوا على ذلك ، حتى أن ابن أبي الحديد يقول في شرح النهج : ( وأما خبر عمرو بن العاص في شخوصه الى الحبشة ليكيد جعفر بن ابي طالب والمهاجرين فقد رواه كل من صنف في السيرة ) .

لكن الاختلاف قد وقع بين المؤرخين في الشخص الذي انتخبته قريش صاحباً لعمرو ليعاونه في أمره ويشاركه في مكيدته ، فقد ذكر الحاكم في مستدركه ، وابن كثير واليعقوبي في تاريخهما أن الذي كان مع عمرو هو عمارة بن الوليد المخزومي .. ولكن ابن هشام في سيرته وجماعة

غيره من المؤرخين ذكروا أن صاحب عمرو في المكيدة هو عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وقيل انهم بعثوا عمرا مرتين ، مرة مع عمارة بن الوليد ومرة مع عبد الله بن أبي ربيعة (١) هذا وان الاخبار التي تشير الى قصة المكيدة تكاد تكون متقاربة اذ ليس فيها من الاختلاف الا في تبديل اسم عبد الله بن أبي ربيعة بعمارة بن الوليد .

والذي يغلب على اعتقادنا هو ان لعمرو بعثتين - أو سفرتين - الى الحبشة احدهما مع عمارة ، والثانية مع عبد الله وان سفرته مع عمارة لم تكن لكيد المشركين - على ما ظهر لنا - بل للتجارة أو لأغراض أخرى لان الحبشة - كما قدمنا - كانت متجراً لقريش .

وقصة ذهاب عمرو بن العاص مع عمارة بن الوليد لخصها نقلا عن شرح النهج لابن أبي الحديد (٢) : ( ذهابا معا الى الحبشة وبينما هم راكبون في السفينة اذ راود عمارة امرأة عمرو عن نفسها فامتنعت ، مما أغاض عمرو بن العاص فأكمن له المكيدة في قلبه ، فلما وصلا الى الحبشة كتب عمرو الى ابيه العاص أن يخلعه ويتبرأ من جريرته الى بني

---

(١) امتاع الاسماع - ج ١ ص ٢٢ .

(٢) راجع الجزء الثاني منه .

المغيرة ففعل العاص ذلك ، وقد كاد عمر وعمارة عند  
النجاشي بما دعاه لان يفتك به ، انتقاما منه لاعتدائه على  
عرضه ) .

ولم يذكر ابن أبي الحديد في عرض هذه القصة ما  
يشير لكليهما المسلمين عند النجاشي .

وينقل ابن ابي الحديد في موضع آخر من شرح  
النهج (١) ما ملخصه : ( أن جماعة من قريش اجتمعوا  
فأفاضوا بذكر السقيفة - وفيهم ناس من المهاجرين  
والانصار - وكان عمرو بن العاص حاضرا فتكلم بما أغاض  
الانصار ، ثم قال شعرا في الثلب عليهم ، فانتدب الانصار  
شاعرهم النعمان بن العجلان ليرد عليه فجاءه وكلمه بكلام  
كان من جملة .. ( يابن العاص وترت بني عبد مناف  
بمسيرك الى الحبشة لقتل جعفر واصحابه ، ووترت بني  
مخزوم باهلاك عمارة بن الوليد ) .

واذا كان مع عمرو في مكيدته للمسلمين هو عمارة  
فكيف يتسنى له ان يفتك به عند النجاشي ثم يقوم بمكيدة  
المسلمين في وقت واحد ؟ ولو كانت المكيدتان في وقت  
واحد لذكرهما المؤرخون .

---

(١) في الجزء الثاني .

وعلى كل فلا يهمننا ان نزيد في التحقيق حول الرجل الذي كان مع عمرو في مكيدته للمهاجرين ، أهو عمارة ، أم عبد الله .؟ لان المكيدة في الحقيقة لم يقم بها الا عمرو وحده ، ولم تعتمد قريش الا على دهاء عمرو ومكره ، فلم يرسلوا معه صاحبه الذي أرسلوه ليضيف الى مكره مكرأ لان عمراً لم يكن بحاجة الى ذلك ، لكنما هي على ما نعتقد مجرد صحة طريق .

أما الوقت الذي خرج فيه عمرو للمكيدة فلم يعينه بعض المؤرخين بالتحقيق ، ولم يتعرض لذكره البعض الآخر فمن ذلك ما قيل ان بعثة عمرو كانت بعد خروج المهاجرين الى الحبشة مباشرة ، وقيل ان بعثته كانت بعد وقعة بدر .

ونحن نرجح كون المكيدة كانت بعد خروج المهاجرين مباشرة ، لان قريشاً كان يسوءها أن يجد المسلمون أمناً على دينهم في الحبشة ومجالاً لنشره بين الناس . وكان قد بلغهم ان المهاجرين من الامن والسلام ، بل الترحيب من قبل النجاشي ، فكيف بعد هذا يقر لهم قرار فيرجئون مكيدتهم الى بعد وقعة بدر وهم يريدون القضاء على الدعوة الاسلامية ساعة قبل أخرى .

لقد تهيأ عمرو بن العاص للسفر في أمره الذي عزم

عليه ويذكر ابن أبي الحديد في هذا الشأن انه ( لما خرج الى  
الحبشة ليكيد جعفر بن ابي طالب وأصحابه أنشأ يقول :  
تقول ابنتي : أين أين الرحيل ؟

وما البين مني بمستكر  
فقلت دعيني فاني امرؤ

أريد النجاشي في جعفر  
لأكويه عنده كية

أقيم بها نخوة الأصعر  
ولن أثني عن بني هاشم

بما اسطعت في الغيب والمحضر  
وعن عائب اللات في قوله

ولولا رضى اللات لم تمخر  
واني لأثني قريش له

وان كان كالذهب الأحمر

فكان عمرو يسمى الشانئ بن الشانئ لان أباد

العاص (١) كان اذا مر عليه رسول الله بمكة يقول له :  
« والله اني لأشئوك » فأنزل الله فيه « ان شئتُك هو  
الأبتر .. »

وأخيراً فقد سار عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن  
أبي ربيعة وقد جمعت له قریش هدايا كثيرة للنجاشي  
ربما رقته ، وقد أحكم عمرو الخطة التي قرر اتخاذها في  
الكيدة ... وتتلخص خطته تلك بأن يتصل ببطارقة النجاشي  
أولاً وقبل كل شيء فيقدم لهم من الهدايا ما يستميلهم به ،  
ثم يستفز مشاعرهم بعدئذ بهذا الدين الجديد ويجذرهم  
منه بأنه سيقضي على نصرانيتهم اذا ما سمحوا له بالانتشار.

ولا يخفى ما في هذه الخطة من اثاره عواطف الاساقفة،  
اذ أحرز أن سيساعدوه في انجاز مهمته عند النجاشي ليتيسر

---

(١) (د العاص بن وائل كان من ذوي اليسار وأدرك  
الاسلام ولكنه لم يسلم بل مات مشركاً بعد الهجرة  
بقليل وهو في الخامسة والثمانين من عمره . ولم يزل  
يناصب النبي وأصحابه العداء ويكيد لهم في الجهر  
والخفاء ، وهو الذي قال عن النبي حين مات ابنه  
القاسم وعبد الله : ان صاحبكم هذا لأبتر فنزلت فيه  
الآية ( ان شئتُك هو الأبتر ) - نقلاً بتلخيص عن كتاب  
( عمرو بن العاص ) للاستاذ عباس العقاد .

له الانتقام من المسلمين اللاجئين الى الحبشة . .

تلك خطة محكمة كان عمرو واثقا بأنه سيجرز من ورائها النجاح . ولنستمع الآن الى ما تحدثنا به أم سلمة المخزومية زوجة رسول الله وقد كانت يومئذ احدى المهاجرات .

قالت (١) : « لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار وآمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذي كما كنا نؤذي بمكة ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي في أمرنا رجلين جليدين منهم ، وأن يهدوا الى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدما كثيرة ولم يتركوا من بطارقتة بطريقا الا أهدوا اليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان نكلما النجاشي فيهم .

ثم قدموا الى النجاشي ونحن عنده في خير دار هند خير جوار ، فلم يبق من بطارقتة بطريق الا دفعا اليه هديته

---

(١) نقلا عن سيرة ابن هشام وشرح النهج لابن ابي الحديد .



قبل ان يكلمنا النجاشي ، ثم قالوا للبطارقة انه قد فر الى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا اَنتم ، فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم .

فقالوا لهما : نعم .

ثم انهما قربا هدايا الملك اليه ثم كلماه فقالا له : ايها الملك قد فر الى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومنا من آباءهم وأعمامهم وعشائريهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاینوه منهم .

فقالت بطارقة الملك وخواصه : صدقوا ايها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك اليهما ليردهم الى بلادهم وقومهم .

فغضب الملك وقال : لاها الله اذن لا اسلمهم اليهما ولا أحصر قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ،

فان كان كما يقولون أسلمتهم اليهما ، ورددتها الى قومهم ،  
وان كانوا على غير ذلك منعهم منهم وأحسنتم جوارهم ما  
جاوروني .

ثم انه أرسل الى أصحاب رسول الله فدعاهم ، فلما  
جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض - وقد علموا  
بأمر المكيدة - ما تقولون للرجل اذا جئتموه ؟

فقال جعفر بن ابي طالب : نقول والله ما علمناه وأمرنا  
به نبينا كائنا ما هو كائن .

فلما جاءوه - وقد دعا النجاشي اساقفته فشرخوا  
مصاحفهم حوله - سألهم وقال : ما هذا الدين الذي فارقتم  
فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه  
الملل ؟

قالت أم سلمة : فكان الذي كلمه جعفر بن ابي  
طالب فقال :

أيها الملك كنا قوما في جاهلية نعبد الاصنام ونأكل  
الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل

القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك (١) حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن سائر الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً . وبالصلاة والزكاة والصيام ..

قالت : فعدد عليه أمور الإسلام كلها .  
ثم قال : فصدقناه وآمنا به وعرفنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً .

(١) إن هذا الكلام عبارة عن تقرير لحالات التفسخ الأخلاقي والديني والاجتماعي الذي شمل الجزيرة في الجاهلية . وجعفر بريء مظهر منه على ما أسلفنا من أنه منزّه عن جميع تلك الشوائب والأوضاع وليس تلامه هذا إلا على سبيل التقرير عن الحالة العامة في الجاهلية لأنه وقف أمام النجاشي معبراً عن لسان جماعته من المهاجرين الذين كانوا في ظلمة الجاهلية فاهتدوا بنور الإسلام .

وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا  
يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاصنام عن  
عبادة الله ، وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما  
قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا  
خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك  
ورجونا ألا نظلم عندك ايها الملك .

فقال له النجاشي : فهل عندك مما جاء به صاحبكم  
من الله شيء ؟

فقال جعفر : نعم .  
قال النجاشي : فاقرأه علي .

فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة (كهيعص) .

تقول ام سلمة : فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ،  
وبكى أساقفته حتى أخضلت لحاهم ، ثم قال للنجاشي :  
والله ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة  
واحدة ، والتفت الى عمرو وصاحبه قائلاً : انطلقا فلا والله  
لا أسلمهم اليكما .

فخرج عمرو بن العاص فاشلا خائباً يقرب وجوه  
الرأي والحيلة من جديد ويبحث عن مكيمة اخرى ينال فيها

بغيته ويحقق أمله .

قالت ام سلمة : ولما خرج القوم من عند النجاشي ، قال عمرو بن العاص لأعيينهم عنده بما استأصل به خضراءهم ، فقال له عبدالله بن ابي ربيعة - وكان أتقى الرجلين - لا تفعل فان لهما أرحاماً وان كانوا قد خالفوا .

قال : لأخبرنه غدا انهم يقولون في عيسى بن مريم انه عبد .

ثم غدا عليه من الغد فقال : ايها الملك ان هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل اليهم فسلمهم عما يقولون ، فعندئذ أرسل اليهم النجاشي ليسألهم .

قالت ام سلمة : فما نزل بنا مثلها ، واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذا سألكم عنه ؟..

فقال جعفر : نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاءنا به نبينا كائناً ما هو كائن .

وجاءوا فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر : نقول انه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول .

قالت ام سلمة : ف ضرب النجاشي يديه على الارض  
وأخذ منها عودا وقال : ما عدا عيسى بن مريم ما قال ،  
هذا العود .

ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوم (١) بأرضي  
— والشيوم الآمنون — من سبكم غرم ثم من سبكم غرم  
ثم من سبكم غرم ، ما أحسب أن لي دبرا (٢) من ذهب  
واني آذيت رجلا منكم .

ثم قال : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ،  
فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ  
الرشوة فيه ، فليخرجا من بلادي (٣) .

---

(١) وتروى بالسین المهملة وهي كلمة حبشية .

(٢) دبرا : جبلا .

(٣) توضيحا لقول النجاشي : ( ان الله لم يأخذ مني  
الرشوة ) ثبت ما جاء في شرح النجاشي من ان ابا النجاشي  
لم يكن له ولد ، وكان له عم له اثنا عشر ولدا وكانوا هم  
اهل بيت مملكة الحبشة . فقالت الحبشة لو قتلنا ابا  
النجاشي وملكنا اخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام .  
فقتلوه وملكوا اخاه ، وبقي النجاشي عند عمه وكان  
عاقلا فغلب على امر عمه فخافت الحبشة ان يقتلهم بقتلهم  
اباد فقالوا له مه : اما ان تقتله ، او تخرجه عنا فقد =

قالت أم سلمة : فخرج الرجلان من عنده مقبوحين  
مردودا عليهما ما جاء به وأقمنا عنده في خير دار مع خير  
جوار .

هذا ما حدثتنا به أم سلمة (رض) بتفصيل المكيـدة  
التي حاك خيوطها عمرو بن العاص هو وصاحبه ابن ابي  
ربيعة .

وقد ظهر لنا من طيات هذا الحديث أن عمراً لم يأل  
جهداً في كيد المسلمين عند النجاشي ، كما وظهر لنا كيف

---

= خذاه) فأجابهم الى اخراجه على كرهه ، فأخرجوه الى  
السوق فباعوه من تاجر بستمائة درهم ، فسار به  
التاجر في سفينته ، فلما جاء العشاء هاجت سحابة  
فأصابت عمه بصاعقة ففزعته الحبشة الى اولاده فاذا  
ليس فيهم خير فهرج امرهم وخرجوا في طاب النجاشي  
حتى ادركوه ، وملكوه عليهم .

وجاء التاجر فقال : اما ان تعطوني مالي ، واما ان  
أأمله فقالوا : كلمه . فقال : أيها الملك ابتعت غلاما  
بستمائة درهم ثم اخذوا الغلام والمال .

فقال النجاشي لهم : اما ان تعطوه ماله ، واما ان  
يضع الغلام يده في يده . فعند ذلك اعطوه دراهمه  
وانصرف . والى هذه القصة أشار النجاشي بقوله :  
( ان الله لم يأخذ مني الرشوة حين رد علي ملكي ) .

انه دخل المكيدة من بابها ، اذ انه أول ما وصل الى الحبشة وقبل أن يقابل النجاشي اتصل بوزرائه وبطارقته والاساقفة الذين عنده ، وحاول استمالتهم بالرشوة من جهة ، وبالتحذير من هذا الدين الجديد الذي سيقضي على دينهم من جهة أخرى .

وكان من خطته المحكمة التي دبرها في المكيدة ان طلب من النجاشي أن يسلم اليه المهاجرين الذين خرجوا على دين قومهم من دون ان يكلمهم ، لئلا يأتوا به لو أنهم ، وفيهم جعفر بن ابي طالب الذي يعرف فيه قوة القلب وسداد الرأي وصواب التفكير والجواب المنفحم والحجة الدامغة مما يستطيع أن يتغلب به على مؤامراته ومكيدته وينت من حبالها ، ويستميل النجاشي ويدعنه الى حكم العقل والمنطق .

لكن عمراً بطلبه هذا الذي تقدم به الى النجاشي من تسليمه المهاجرين من دون مكالمتهم بشيء أو هن ما احكمه من المكيدة ، اذ انه نبه النجاشي الى ان في الامر سرا يثير الشك والريبة في طلب عمرو ، فأبى النجاشي الا ان يدعو أولئك المهاجرين ليكلمهم فيما يدعيه عمرو ويرى بماذا سيجيبون ، فكان ما انتهت اليه تلك المكيدة الفاشلة ، التي تم احباطها على يد جعفر بن ابي طالب ، فرجع المسلمون



المهاجرون بعد تلك العاصفة من الخوف الى امنهم  
واستقرارهم بفضل جعفر .

وقبل ان نختتم قصة هذه المكيدة رأينا ان تناقش  
الدكتور ( أحمد أمين ) فانه بعد أن أثبتها في كتابه ( فجر  
الاسلام ) علق عليها بقوله : « والذي يغلب على الظن بأنها  
موضوعة بدليل ان الصيام ورد فيها وهو لم يشرع الا بعد  
الهجرة الى الحبشة » .

ولأجل أن نرفع هذا الظن الذي غلب على بحاثتنا  
الدكتور ( الامين ) نقول له : أيجوز أن يقال عن هذه  
القصة بأنها موضوعة لمجرد ورود لفظ الصيام فيها ، في  
حين ان جماعة من المؤرخين وذوي الحديث لم يذكروا في  
طبي هذه القصة لفظ الصيام ، فمن ذلك ما ذكره ( علي بن  
ابراهيم القمي ) - المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري -  
في تفسير آية ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا  
اليهود .. الخ ) : ذكر انها نزلت في النجاشي ثم يذكر  
القصة المشار اليها بالتفصيل مجردة من ذكر لفظ الصيام .  
والطبرسي في ( مجمع البيان ) يذكر القصة ايضا في  
تفسير الآية نفسها وليس فيها للصيام من ذكر . وكذلك  
السيد هاشم البحراني في كتابه ( البرهان ) يذكر نفس

القصة في تفسير الآية المذكورة دون ان يجيء فيها لفظ الصيام .

واذا ورد لفظ الصيام في القصة ببعض كتب التاريخ فليس بعيدا أن يكون ذلك سهوا من الكتاب والنساخين لملازمة لفظ الصيام للفظي الصلاة والزكاة .

وعلى فرض صحة ورودها عن جعفر فلا موجب لان نحكم على القصة بأنها موضوعة لورود لفظ الصيام فيها ، والصيام انما كان قبل الاسلام وأقره الاسلام بصريح قوله تعالى ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) والنبي (ص) كان يصوم لله قبل ان ينزل به الوحي عليه كفريضة من فرائض الاسلام .

وجعفر بن أبي طالب حين وقف امام النجاشي ليعرف له الاسلام وسننه عدد من بينها الصيام كسنة نبوية قبل أن ينزل به الوحي فيكون فريضة .

ونعود الآن الى عمرو بن العاص لنرى هل وقف عند تلك المكيدة الفاشلة ؟.. كلا .. فانه بذل كل جهوده في سبيل كيد جعفر بن ابي طالب ، كما يروي ابن ابي الحديد في ( شرح النهج ) عن جعفر بن محمد الصادق انه

قال : ( لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفرأ بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته بأنواع الكيد فردّه الله تعالى عنه بلطفه : رماه بالقتل والسرقة والزنا ، فلم يلصق به شيئاً من تلك العيوب لما شاهده القوم من طهارته وعبادته ونسكه وسيماء النبوة عليه . فلما نبا معوله عن صفاته هياً له سماً قذفه اليه في طعام فأرسل الله هراً كفى تلك الصفحة وقد مد يده نحوه ، ثم مات لوقته بعد كل أن أكل منها ، فتبين لجعفر كيده وغائلته فلم يأكل ) .

لكن الله رعى دينه الخفيف وحفظ اولئك المسلمين المهاجرين من غوائل الكيد ولو كره المشركون .

## في الحبشة

رجع عمرو بن العاص وصاحبه عبدالله بن ابي ربيعة الى قريش ولم يحملها في حقائبهما الا الفشل والخيلة في المهمة التي توجهوا اليها بالرغم من أنواع الكيد وألوان الزور والبهتان الذي لصقه عمرو بالمهاجرين عامة وبجعفر خاصة .

وما ان علمت قريش باحباط تلك المساعي والجهود التي بذلوها في سبيل الفتك بالمهاجرين الا وقد ثارت ثائرتهم واشتد حنقهم وغضبهم وقرروا أن يضيقوا على بني هاشم الذين في مكة انتصارا لخذلانهم وتداركا لفشلهم في المكيدة التي أخفقوا فيها .

وكان من تضيقهم على بني هاشم أن قرروا مقاطعتهم في صحيفة جاء فيها ألا يناكحهم ولا يبايعوهم ، وعلقوا تلك الصحيفة في جوف الكعبة ، فحصر بنو هاشم في شعب أبي طالب أول المحرم سنة سبع من البعثة ، ودخل الشعب

مسلمهم وكافرهم - عدا أبي لهب وأبي سفيان بن الحارث  
ابن عبد المطلب - وحصن أبو طالب الشعب حذراً من  
سطوة قريش وفتكهم ، وكان يحرسه ليلاً ونهاراً حرصاً  
على نفس ابن أخيه الرسول الذي لقوا كل هذه المقاطعة  
من أجله .

وكان اختلافاً قد حصل عند أهل السيرة في شأن جعفر  
ابن أبي طالب هل كان بين المحصورين في الشعب أم لا ؟..

نقل لنا هذا الخلاف ابن أبي الحديد في شرح النهج،  
والصحيح الذي لا يقبل الشك هو أن جعفرأ يومئذ في  
الجبشة لأن حصار بني هاشم لم يكن إلا بعد مهاجرة  
جعفر بمدة تناهز السنتين .

وبقي بنو هاشم - وعلى رأسهم شيخهم وزعيمهم  
أبو طالب - محصورين في الشعب يعانون من مقاطعة قريش  
التي ، ولم يزالوا كذلك حتى تلاوم رجال من قريش فيما  
بينهم على ما صنعوا ببني هاشم ، وتآمروا على شق  
الصحيفة القاطعة الظالمة .

وانتهى الأمر بشق الصحيفة وخروج الهاشميين من  
الحصار ، ولكن قريشاً لم تزل على عدوانها تتربص الدوائر  
ببني هاشم ، ولم يزل أبو طالب زعيم الهاشميين على تفانيه

في سبيل نصره النبي محمد (ص) حتى أحس بدنو أجله  
فأنشأ يقول موصياً ذويه بحماية محمد والذنب عنه :

أوصي بنصر النبي الخير مشهده

علياً ابني وعم الخير عباساً

وحمزة الأسد المخشي جانبه

وجعفرأ أن يذودوا دونه الناسا

وهاشما كلها أوصي بنصرته

أن يأخذوا دون حرب القوم امراسا

ولم يقتصر أبو طالب على رعاية النبي ومن معه من  
المسلمين في مكة بل شمل برعايته المسلمين المهاجرين في  
الحبشة وذلك حينما رأى تصميم قريش على مكيدتهم  
بارسال عمرو بن العاص فكتب أبو طالب الى النجاشي أيباتا  
يحضه فيها على الاحسان الى المهاجرين ودفن الاذى  
عنهم وهي :

الا ليت شعري كيف في النأي جعفر

وعمر ووأعداء النبي الأقارب

فهل نال احسان النجاشي جعفراً

وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم أبيت اللعن انك ماجد

كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة

وأسباب خير كلها بك لازب

وانك فيض ذو سجال غزيرة

ينال الأعادي نفعها والاقارب (١)

فلما بلغت الايات النجاشي ملك الحبشة سر بها  
سرورا عظيما لانه لم يكن يطمع أن يمدحه ابو طالب بشعره،  
وابو طالب شيخ قريش وسيد البطحاء ومن ألمع الشخصيات  
العربية فزاد في اكرام المهاجرين ، واكثر من اعظامهم  
وتقديرهم واجلالهم ورعاية شؤونهم .

وكتب ابو طالب الى النجاشي مرة اخرى أبياتا يذكر  
له فيها نبوة محمد (ص) والهدى الذي جاء به من ربه ثم

---

(١) أوردها جماعة منهم ابن هشام في سيرته وابن كثير في  
تاريخه وابن أبي الحديد في شرح النهج .

يدعوه الى الاسلام ويشكره على ايواء اللاجئين اليه  
واكرامهم :

تعلم ملك الحبش ان محمداً

نبي كموسى والمسيح بن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به  
الى الحق يدعو بالكتاب المقوم

وانكم تتلونونه في كتابكم  
بصدق حديث لا حديث مترجم

فلا تجعلوا لله ندا واسلموا  
فان طريق الحق ليس بمظلم

وانك ما تأتيك منا عصابة  
لقصدك الا ارجعوا بالتكرم (١)

(١) نلاحظ هذه الابيات عن البحار وقد أوردها جماعة  
آخرون كما وقد أثبت منها الحاكم في مستدركه اربعة  
أبيات بشيء من الاختلاف في اللفاظ .



وعلى أثر رد النجاشي لعمر بن العاص فاشلا في  
 هيئته لما رآه من منطق جعفر بن ابي طالب وسداد رأيه  
 وتفكيره وحسن أدبه واخلاقه ، قرب النجاشي اليه جعفر  
 فكان يتصل به على الدوام في مجلس ملكه وبلاط سلطنته ،  
 وكان جعفر حين يتردد عليه يريه من عفة النفس ورجحان  
 العقل وسداد المنطق ومكارم الاخلاق ما بهر عقله وملك  
 اعجابه حتى اصبح يرى جعفر مثالا للانسان الكامل  
 المتحلي بجميع الفضائل والمكارم ، فهيمن الاسلام على  
 نفسه واحساسه وتفكيره لان جعفر ا بسلكه الطاهر  
 ومزاياه الكريمة رسم امامه صورة مثلى للدين الاسلامي  
 الحنيف .

وجدير بجعفر ان يرسم اصدق صورة واروعها عن  
 النبي محمد واخلاقه ، لانه يشبه النبي في خلقه وخلقه ،  
 وصريح شهادة النبي يدل على ذلك لقوله (ص) : «يا جعفر  
 اشبهت خلقي وخلقي » . فليست أخلاق جعفر في الحقيقة  
 الا اشعاع مقتبس من اخلاق محمد وقبس من ذلك النور  
 الوهاج فليس غريبا - اذن - لو غمرت النجاشي تلك  
 الانوار المتألقة فأخذ مسحورا في اشعاعها المتقد وانجذب  
 الى هدى الاسلام .

لقد لاقى دين الاسلام هوى من نفسه وانجذب اليه

معجبا مبهورا لانه وجد في اخلاقه العالية وتعاليمه الحكيمة  
ما يعجز عن الاتيان بثلها العقل البشري ، بل اعتقد انما  
هي فيض من الله تعالى ارسله على يد هذا الرسول العربي  
الامين ليهدي الناس الى الطريق القويم .

وهكذا استطاع جعفر - بفضل المواهب التي كان  
يتمتع بها - ان يوثق علاقاته بالنجاشي ويؤكد صلته  
معه ويتردد عليه كصديق حميم .

وهكذا استطاع بما اوتي من براعة المنطق وسمو  
العقل ان يجذبه الى الاسلام بعد ان حبيه الى نفسه وشوقه  
الى اعتنافه وما هي الا مدة يسيرة حتى اصبح خلالها  
النجاشي مسلما مؤمنا ، موحدا لله معترفا بنبوته محمد  
مصدقا بالكتاب الذي نزل عليه والاحكام التي جاء بها من  
عند ربه ، ولكنه كتم اسلامه عن قومه الذين كانوا يعتقدون  
النصرانية خوفا من بطشهم به وثورتهم عليه ، وما ذلك الا  
بفضل جعفر بن ابي طالب .

ولكن العقيدة والايمان اللذين غمرا نفس النجاشي  
لم يتسع لهما صدره - برغم تحذره وتخفيه - بل كانا  
يظهران عليه في أغلب الاحيان فكانوا يرون من كثرة اتصاله  
بجعفر تبديلا محسوسا في كافة اوضاعه مما اشعرهم وجعلهم

يعتقدون بأنه اعتنق دين الاسلام ونبذ النصرانية التي هي دينهم الرسمي .

وهذا ما دعا الاحباش - حسبما يحدثنا ابن هشام في سيرته - الى ان يجتمعوا ويقولوا للنجاشي : ( انك قد فارقت ديننا ) .

ثم خرجوا عليه ، فلم يكن مهتما بالاحتفاظ في ملكه وسلطانه كاهتمامه بأمر جعفر واصحابه الانجيين عند ذلك فانه قبل أن يقابل الثوار في مملكته ، أرسل الى جعفر واصحابه فهيأ لهم سفنا وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وان ظفرت فاثبتوا ، ثم عمد الى كتاب فكتب فيه ( انه يشهد ألا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، ويشهد ان عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم ) . ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن ، وخرج الى الحبشة وصفوا له .

فقال يا معشر الحبشة ، ألسن أحق الناس بكم ؟  
قالوا : بلى .

قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟  
قالوا : خير سيرة .

قال : فما لكم ؟  
قالوا : فارقنا ديننا وزعمت ان عيسى عبد .  
قال : فما تقولون اتم في عيسى ؟  
قالوا : نقول هو ابن الله .

فقال النجاشي : - وقد وضع يده على قبائه - هو  
يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئاً .  
وقد عنى ما كتبه ووضعه في قبائه ، فرضوا منه  
وانصرفوا .

ان هذه الحادثة التي تصرح باسلام النجاشي تدلنا  
على ان السبب في اعتناقه للدين الحنيف هو جعفر بن ابي  
طالب ويذكر ذلك عامة أهل السيرة من المؤرخين .

وتدلنا هذه الحادثة ايضا على شدة عناية النجاشي  
بالمهاجرين فانه في الحال التي تشور فيها مملكته عليه  
ويحاولون انتزاع السلطان من عنده لم ينس المهاجرين  
اللاجئين اليه فاهتم فيهم أكثر من اهتمامه بنفسه ، وهياً لهم  
سبل النجاة فيما اذا اشتد الخلاف بينه وبين قومه وآل امره  
الى الاندحار ، وقد كان جميع المهاجرين يرون بأعينهم تلك  
العناية التي لقوها من النجاشي فكانوا يبتهلون الى الله ان  
يكافئه على حسن صنيعه معهم .

ولنستع الآن - كدليل على ذلك - الى احدى المهاجرات وهي أم سلمة زوج الرسول تنقل لنا وصف حالهم في تلك الازمة الشديدة فتقول (١) : « بينما نحن في خير دار مع خير جار اذ نزل بالنجاشي رجل من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما أصابنا خوف وحزن قط كان أشد من خوف وحزن نزل بنا ان يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه منه .

قالت : وسار اليه النجاشي وبينهما عرض النيل ، فقال أصحاب رسول الله : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟

فقال الزبير بن العوام : انا - وكان من احدث المسلمين سنا - فنفخوا له قرية وجعلوها تحت صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم .

قالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكن له في بلاده فوالله انا لعلى ذلك ، متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير يسعى ويلوح بشيء ويقول : ( ألا ابشروا فقد ظهر النجاشي وقد اهلك الله عدوه ) .

(١) نقلا عن سيرة ابن هشام وشرح النجاشي .

قالت : ( فوالله ما أعلمنا فرحة مثلها قط ، ورجع النجاشي وقد اهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوثق له أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل ودار ) .

وبقي جعفر بن ابي طالب مقيماً عند النجاشي بأرض الحبشة وهو يتلقى اخبار المسلمين الذين في مكة بلهفة وشوق وبينما هو هناك اذ بلغه موت ابيه ابي طالب وهو في منأى بعيد عنه لم يحظ بالتزود منه ساعة دنو اجله ، لان الظروف القاهرة شاءت ان تقصيه عن ابيه ، اذ فر بدينه ليسلم عليه وعلى نفسه ، وكذلك قل في ابيه ابي طالب فانه بلا شك كان يتشوق الى رؤية ابنه جعفر قبل ان يفارق الدنيا ، ولكنه لم يفز بذلك لان ابنه في بلاد قاصية لجأ اليها لينجو من كيد المشركين .

وهكذا كان جعفر في منأى عن ذويه واهله فهو يتلهف الى رؤيتهم ويتطلع الى اخبارهم واخبار الدين الحنيف الذي تركه يعاني ضروب الاضطهاد والتكيل من جابرة قريش .

وبينما هو يرقب الاخبار ويتطلع الى انباء الاسلام اذ سمع نبأ الهجرة ... هجرة ابن عمه الرسول من مكة الى المدينة لان قريشاً ائتمروا على قتله بعد وفاة كافله

وحاميه ابي طالب .

وبقي بعد ذلك يرقب الاخبار فوصل اليه ان المدينة  
التي آوت الرسول زاد فيها عدد المسلمين فأخى النبي بين  
المهاجرين والانصار ، وقد أخى بين جعفر بن ابي طالب  
— وهو في الحبشة — وبين معاذ بن جبل .

وفي يوم من الايام — حسبما ورد في شرح النهج —  
استدعى النجاشي جعفرا — حيث قد وصلت اليه اخبار  
وقعة بدر واندحار قريش ومقتل جابرتهن فيها واتتصار  
المسلمين على قلة عددهم — وقد خرج الى مجلسه في غير  
أبهة الملك وعليه ثوبان أبيضان ، ولم يجلس على سرير الملك  
بل جلس على الارض ، فلما جاء اليه جعفر ومعه أصحابه  
قال : أيكم يعرف بدرأ ؟ فأخبروه عنها ، فقال : انا عارف  
بها ، وقد رعيت الغنم بجوانبها وهي من الساحل على بعض  
نهار ، ولكنني أردت أن أثبت منكم ، فقد نصر الله رسوله  
بيدر ، فاحمدوا الله تعالى على ذلك .

فقال بطارقته : أصلح الله الملك ان هذا شيء لم تكن  
تصنعه — يريدون لبس البياض والجلوس على الارض —  
فقال لهم : ان عيسى بن مريم كان اذا حدث له نعمة ازداد  
بها تواضعا .

والمجلسي في البحار يذكر هذه القصة ويسندها  
بالرواية الى جعفر بن ابي طالب نفسه فيقول :

( دخلت على النجاشي وهو في غير زي المالك فحيثه  
وقلت : ايها المالك مالي أراك في غير مجلس الملك وفي غير  
زيه . فقال : ( انا نجد في الانجيل من أنعم الله عليه بنعمة  
فليشكر الله ، ونجد في الانجيل ان ليس من الشكر لله شيء  
يعدله مثل التواضع ، وانه ورد علي في ليلتي هذه ان ابن  
عمك محمد قد أظفره الله بمشركي أهل بدر فأحببت ان  
أشكر الله بما ترى ) .

أرأيت - ايها القارئ - مدى تأثير جعفر على  
النجاشي وكيف استطاع أن يجعل منه مؤمناً يهتمه من أمر  
المسلمين ما يهمهم أرسخهم عقيدة وأعمقهم ايماناً واشدّهم  
اخلاصاً ، اذ يبلغ به السرور عند سماعه بنصر المسلمين ان  
يغير زيه ويجلس على الارض تواضعاً وشكراً .

ولقد عمر قلبه بالاسلام وهام بالنبي محمد حتى انه  
ولد له ابن في تلك الايام فسماه (محمدأ) تيمناً باسم النبي  
الكريم ، وقد ارضعت هذا المولود أسماء بنت عميس  
زوجة جعفر .



وظل جعفر على اتصاله الوثيق بالنجاشي طيلة السنين  
التي بقيها في الحبشة والتي كانت خمسة عشر عاماً ، وفي  
خلال تلك المدة ولد لجعفر جميع اولاده هناك وهم عبدالله  
وعون ومحمد . ولم يزل بأرض الحبشة حتى بعث رسول  
الله الى النجاشي أن يسرحه مع بقية المهاجرين الى المدينة .

## الى المدينة

لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية واتم الصلح الذي عقده مع قريش في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة رأى ان الوقت قد حان لنشر الاسلام ودعوة الملوك والامراء الى الدين الحنيف كقيصر الروم وكسرى الفرس وملك مصر ونجاشي الحبشة وغير هؤلاء من الملوك وزعماء القبائل ، فأرسل ستة نفر من رسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والانضمام تحت رايته فخرج أولئك الرسل كلهم في يوم واحد وذلك في المحرم من السنة السابعة للهجرة .

وكان أول رسول بعثه رسول الله (ص) هو عمرو بن أمية الضمري ، وكتب معه الى النجاشي كتابين يدعو به في أحدهما الى اعتناق الاسلام ، وفي الآخر يطلب منه ان يزوجه بأمة حبشية بنت أبي سفيان (١) .

---

(١) كانت قد هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جهمش مع سائر المهاجرين ولكنه ما لبث ان تنصر هناك ومات نصرانيا .

وقد أثبت الطبري (١) في تاريخه رسالة من النبي الى النجاشي ، ونحن لا نستطيع ان نجزم بأنها هي نفس الرسالة التي بعث بها اليه مع عمرو بن أمية الضمري لان فيها ما يستدل به على خلاف ذلك ، بل فيها ما يمكن ان يستنتج منه بأنها بعثت أثر بعثة جعفر الى الحبشة مباشرة . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة .

سلم انت ، فاني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعبسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وان تتبعني وتؤمن بما جاءني فاني رسول الله .

وقد بعثت اليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين فاذا جاءك فأقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) كما ويروىها غيره جماعة آخرون .

واذا كانت هذه الرسالة على ما ذكرنا من عدم الجزم في كونها هي الرسالة التي بعثت مع عمرو بن أمية الضمري فلم تثبت لنا كتب التاريخ والسيرة رسالة غيرها من النبي الى النجاشي حتي نعرف انها هي الرسالة المعنية في ذلك الشأن .

وعلى أية حال فقد سار عمرو بن أمية الضمري بكتابي النبي الى النجاشي ملك الحبشة فلما وصلها دخل على النجاشي وسلمه كتاب الرسول (ص) فقبله ووضع على عينيه ونزل من سريره وجلس على الارض تواضعا ، ثم أعلن اسلامه وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته ثم كتب الى رسول الله (ص) باسلامه على يد جعفر بن ابي طالب (١) والى القارىء ثبت نص كتابه الى النبي الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله من النجاشي الاصحح بن الأبرج  
سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله  
الذي لا اله الا هو الذي هداني الى الاسلام .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - ج ٢ ص ٢٣ -

اما بعد : — فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت  
من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد  
على ما ذكرته تفروقا انه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به الينا  
وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد انك رسول الله صادقا  
مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله  
رب العالمين ، وقد بعثت اليك بابني أرها بن الأصحم بن  
أبجر فأنا لا املك الا نفسي وان شئت ان آتيك فعلت  
يا رسول الله فأنا أشهد ان ما تقول حق والسلام .

ذكر هذه الرسالة الطبري في تاريخه وقال بعدها : ان  
النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة فلما صاروا في وسط  
البحر غرقت بهم السفينة فهلكوا جميعا .

وفي خلال الايام التي كان فيها عمرو بن أمية الضمري  
مبعوث رسول الله عند النجاشي في الحبشة صادف ان كان  
عمرو بن العاص هناك فحاول ان يفتك به فلم ينجح ، وذلك  
حينما ينقل ابن ابي الحديد في شرح النهج على ما يرويهِ  
عن ابن العاص نفسه حيث يقول :

( لما انصرف من الخندق جمعت رجالا من قريش  
كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : والله اني لأرى  
أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا واني قد رأيت رأيا فماذا  
ترون فيه ؟

فقالوا : ما رأيت ؟

قلت أرى أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومه أقمنا عند النجاشي فان نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وان ظهر قومنا فنحن من عرفوا ) .

ثم كان ما كان من توجه عمرو الى الحبشة فوجد هناك عمرو بن أمية الضمري وقد بعثه رسول الله الى النجاشي فيحدثنا عمرو ايضا ويقول :

( فدخلت على النجاشي وسجدت له وقلت : ايها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول عدو لنا فأعطينه لأقتله فانه قد اصاب من أشرافنا وخيارنا .

فغضب الملك ، ثم مد يده فضرب بها انفه ضربة ظننت انه قد كسره ، فلو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا منه ، فقلت ايها الملك : والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه فقال : أتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله .

ف قالت ايها الملك : أكذلك هو ؟

فقال : اي والله ، أطعني ويحك واتبعه فانه والله

نعمى حق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون  
وجنوده .

قلت : فبايعني له على الاسلام ، فبسط يده فبايعته  
على الاسلام وخرجت عامدا لرسول الله - وقد أسلم خالد  
ابن الوليد وقد كان صحبني في الطريق اليه - فقلت يا  
رسول الله أبايعك على أن تغفر ما تقدم من ذنبي ( ١ ) .

هذا ما حدثنا به عمرو بن العاص نفسه عن مكيدته  
لرسول النبي واخفاقه فيها ، ثم عن اسلامه ، وكيف انه لم  
يسلم الا حينما لم يجد مناصا من الاسلام اذ فوجيء بغضب  
النجاشي عليه - وهو من يريد الاعتصام في بلاده فرارا من  
اعتناق الاسلام - فأين تكون وجهته اذن ؟ والاسلام  
أصبح يكتسح البلاد طولا وعرضا وأضحى الناس يدخلون  
فيه طمعا وكرها . فحين لم يجد بدا من ذلك اعلن اسلامه

---

( ١ ) اختلف في وقت اسلام عمرو بن العاص ووردت فيه  
أقوال مختلفة والمرجح منها ما ذكره الواقدي : وهو ان  
اسلامه - كما ذكر عمرو نفسه - كان على يد النجاشي  
وهو بارض الحبشة بين الحديبية وخيبر ، وقدم على  
رسول الله مسلما هو وخالد بن الوليد في شهر صفر  
سنة ثمان من الهجرة ، وكان قد هم بالاقبال على  
رسول الله في حين انصرافه من الحبشة ثم لم يعزم له  
الى الوقت الذي ذكرناه .

لوقته امام النجاشي ليأمن غضبه ويتقي نقمته عليه فكان  
أخيراً من أمره ما كان .

ثم ان النجاشي دعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي  
رسول الله وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان  
الكتابان بين أظهرها (١) هذا وإن النبي كان قد كتب الى  
النجاشي في الكتاب الثاني ان يبعث اليه بجعفر ومن معه  
من المسلمين فأخبر النجاشي جعفرأ بذلك ، فتهيأ المسلمون  
للسفر ، حيث انقضى عهد هجرتهم وغربتهم وآن لهم ان  
يعودوا الى أهاليهم حين أظهر الله دينه ، وأيد نبيه ، ودفع  
عنهم ما كانوا يحذرون من الأذى ويخشون من الاضطهاد .

وتجب الإشارة الى ان المسلمين - طيلة تلك الاعوام  
التي قضوها في الحبشة - لم يروا من النجاشي الا ما  
يسرهم ، اذ كان يرعى أمورهم ويقضي حوائجهم ولم يزل  
يشملهم بالاحسان الى ان جاء كتاب النبي الذي يطلب فيه  
ان يسرحهم اليه ، فأمر النجاشي بتجهيزهم ، وحملهم في  
سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري ، ثم قال لجعفر : « بلغ  
صاحبك ما صنعت اليكم وهذا صاحبي معكم وأنا أشهد  
ألا اله الا الله وانه محمد عبده ورسوله وقل له يستغفر

---

(١) كما في الجزء الثاني من الطبقات لابن سعد وغيره .



لي » . وتعانقا للوداع وقد بدا على النجاشي تأثر بالغ على ما سيتركه فراق جعفر في نفسه من اثر كبير ، كما ومزج جعفر بوداعه عبارات الشكر والثناء على الحفاوة والاکرام المدين لقيهما منه — هو والمهاجرون معه — طيلة مكثه عنده .

وتوجهت السفينتان بالمهاجرين في البحر حتى ارستا بهم في ساحل ( بولا ) وهو ( الجار ) ( ١ ) ، ثم تكاروا الظهر ( ٢ ) حتى وردوا الى المدينة ، وقد كان ورودهم اليها في السنة السابعة من الهجرة بعد فتح خيبر على قول عامة المؤرخين .

أجل . قدموا على النبي بعد فراغه من فتح خيبر يتقدمهم أميرهم جعفر بن ابي طالب ، ولا تسلم عن مدى سرور النبي وفرحه بلقيا ابن عمه جعفر بعد تلك الغيبة

---

( ١ ) الجار : مدينة تقع على ساحل بحر القلزم ( البحر الاحمر ) وبينها وبين المدينة يوم وليلة . وكانت ترفأ فيها السفن من ارض الحبشة ومصر وعدن والصين ، و ( الجار ) نصفها جزيرة في البحر ونصفها الآخر على الساحل . وقد سمي البحر من جدة الى القلزم كله باسم الجار فلعل ( بولا ) هو اسم هذا البحر بلسان أهل الحبشة .

( ٢ ) اي استأجروا الابل .

الطويلة التي جرت خلالها أزمات وتطورات وانقلابات .

لقد عد النبي قدوم جعفر عليه فتحاً للإسلام والمسلمين  
شبيها لهذا الفتح الذي أدركه في خير ، فاستمع إليه يعبر  
عن ذلك بقوله :

« ما أدري بأيهما أنا اشد فرحاً ، بقدوم جعفر أم  
بفتح خير » (١) . ولم يقل النبي مقالته هذه في الترحيب

بجعفر مندفعاً إليه بدافع الحب والقربى فقط ، بل انه كان  
يرى في قدوم جعفر ومن معه من المهاجرين فتحاً عظيماً  
واتصاراً كبيراً للإسلام كان نظيراً لفتحه وانتصاره في خير،  
اضف الى ذلك ان جعفراً كان بطلاً مغواراً وأسداً ضارياً فلا  
غربة لو زاد قدومه في قوة المسلمين وشوكتهم .

نعم . كان سرور النبي بقدوم جعفر منقطع النظير فقد  
ورد ان النبي قام لاستقباله ومشى له اثنتي عشرة خطوة  
وقبل جبهته وما بين عينيه .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى والحاكم في المستدرک  
وابن عبد البر في الاستيعاب وابن قتيبة في المعارف  
والمسعودي في التنبيه والاشراف وابو الفرج في مقاتل  
الطالبين وغيرهم من المؤرخين .

وقد التفت النبي الى جعفر ذلك اليوم برأى من  
المسلمين فقال له :

« يا جعفر ألا اعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبك ؟ » .  
فتشوف الناس وظنوا انه يعطيه ذهباً أو فضة  
قال : بلى يا رسول الله .

قال : اني اعطيك شيئاً ان انت صنعته كل يوم كان  
خيراً لك من الدنيا وما فيها ، وان صنعته بين يومين غفر  
لك ما بينهما او كل جمعة او كل شهر أو كل سنة غفر لك  
ما بينهما .

صل أربع ركعات ... ثم ذكر له الصلاة المعروفة على  
ألسن الفقهاء بصلاة جعفر (١) .

وقام بعد ذلك رسول النجاشي - الذي جاء مع  
المهاجرين - فقال : « يا رسول الله ، هذا جعفر فاسأله عما  
صنع به صاحبنا » .

---

(١) وتسمى « صلاة الحبة » نظراً لان النبي جبا بها  
جعفرًا . وهي عبارة عن أربع ركعات بتسليماً  
وتسليماً ، وتقرأ فيها بعد الحمد في كل ركعة سورة  
خاصة وبعدها ذكر خاص . وذلك كله مذكور بالتفصيل  
في جميع الكتب الخاصة بالأدعية والصلوات .

فقال جعفر للنبي : « انه آوانا واحسن الينا وفعل بنا كذا وكذا وزودنا وحملنا اليك وشهد الا اله الا الله وانك رسول الله وقال قل له يستغفر لي » .

فقام رسول الله فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات فقال :  
( اللهم اغفر للنجاشي ) فقال المسلمون ( آمين ) .

فقال جعفر لرسول النجاشي : اخبر صاحبك بما رأيت من النبي . ثم ان الرسول (ص) ضرب مثلاً سامياً على كريم اخلاقه وشدة تواضعه اذ جعل يخدم من حضر مع جعفر من الحبشيين بنفسه ، فقال له اصحابه :

نحن نكفيك ذلك يا رسول الله .

فقال (ص) : « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأريد ان أكافئهم » .

فتسلك الاعجاب اولئك الحبشيين بهذا الخلق الكريم الذي لقوه من النبي ، فذهبوا الى ديارهم وقصوا ما رأوه من أخلاق النبي على النجاشي وهم مسحورون معجبون .

ولقد أراد النبي (ص) ان يري من معه من المسلمين بان هؤلاء المهاجرين الذين كانوا في الحبشة لهم من الأجر والثوبة مثل ما نقيه المسلمين الذين حضروا خير ، وجاهدوا

في سبيل الله ، وان لم يضرب هؤلاء بسيف او يظعنوا  
برمح لانهم كانوا طيلة خمسة عشر عاما في تشريد وغربة  
تضاهي الجهاد أو هي الجهاد بعينه . وبناء على ذلك فقد  
أشركهم رسول الله في غنائم الفتح فأعطى لجعفر ولزوجته  
اسماء بنت عميس ولمن معهما من المهاجرين من غنائم خيبر  
فقسمت الغنائم على ألف وخمسمائة وثمانين سهما ، منها  
اربعون سهما لجعفر ومن جاءوا معه من الحبشة (١) . واذا  
أردت أن تقف على ما لهؤلاء المهاجرين من الفضيلة والشأن  
والمقام الكريم في الاسلام فاستمع الى القصة التالية التي  
خلاصتها : (٢) ان اسماء بنت عميس لما قدمت من الحبشة  
أتت النبي وقالت : « يا رسول الله ان رجالا يغمزون علينا  
ويزعمون انا لسنا من المهاجرين الاولين » .

فقال رسول الله : « بل لكم هجرتان ، هاجرتم الى  
ارض الحبشة ونحن مرهونون بمكة ، ثم هاجرتم بعد  
ذلك الي » .

وهكذا وصل جعفر بن ابي طالب من الحبشة الى  
المدينة ليستريح من عناء هجرته الطويلة ، ويقضي فيها سنة

---

(١) ورد ذلك في فتوح البلدان والطبقات وغيرهما .

(٢) انظر الطبقات الكبرى وغيرها .

واحدة يخرج بعدها بامارة جيش المسلمين يقودهم لمحاربة  
امبراطورية الروم فيخر صريعا في ساحة الحرب والجهاد ..  
وقد ختم حياته وجهاده بالشهادة .. فما اجله واشرفه  
من ختام .

## غزوة مؤتة

كان من بين الدعوات التي وجهها رسول الله الى الامراء والملوك لاعتناق الاسلام هي الدعوة التي ارسلها مع الحارث بن عمير الازدي الى ملك «بصرى»<sup>(١)</sup> في السنة الثامنة من الهجرة ، فسار الحارث وهو يحمل كتاب النبي

---

(١) بصرى - على وزن كبرى - كانت عاصمة للدولة الفسائية وهي على بعد - ١٧١ - كيلومترا من دمشق الى جنوبها الشرقي ، والظاهر ان حدود تلك الدولة كانت تشمل حوران الحاضرة مع جبل الدروز واللجاء شرقا ومعان جنوبا وابواب دمشق شمالا والزويصة غربا .

وكان الروم قد أنشأوا مراكز عسكرية ومخافر كبيرة لا سيما في بصرى وجرش وعمان واللجاء ومعان، كما وقد كانت لهم حاميات عسكرية اخرى صغيرة منتشرة في حوران والبلقاء ومواب في مناطق الحدود العربية . والظاهر ان الغاية من انشائها دفع غارات القبائل العربية .

فلما نزل في « مؤتة » (١) تعرض له شرحبيل بن عمرو  
الفساني - أحد معال هرقل ملك الروم - فقال له :  
أين تريد ؟  
قال : الشام .

قال : لعلك من رسل محمد ؟  
قال : نعم .

وكان شرحبيل شديد العداء للإسلام فأمر بإحارث  
فأوثق رباطا ثم قدمه للقتل فضرب به صبرا ، ولم يقتل  
للنبي (ص) رسول غيره منذ ان صدع بالنبوة .

فلما بلغ ذلك رسول الله اشتد عليه أمر هذا الحادث  
الفظيع الذي ينطوي على العدوان الصريح والاستضعاف  
للإسلام والمسلمين بتلك الجرأة السافرة على قتل رسول  
النبي دون سبب مبرر ، ففكر النبي مليا في الأمر فلم ير إلا  
أن يصمم على غزو الروم ودمارتهم في عقر دارهم ليكفوا  
عن عدوانهم الظاهر ، لذلك قرر اعلان الحرب ، وندب

---

(١) هي قرية لا تزال قائمة في جنوبي شرقي الاردن الغربي  
وتقع شرقي البحر الميت وجنوبي الكرك التي تبعد  
عنها - ١١ - كيلومترا ، والكرك هذه هي التي كانت  
تسمى مؤاب .



الناس اليها بعد أن أخبرهم بما جرى لرسوله الحارث بن عير ، ودعاهم الى الذب عن كرامتهم ، والأخذ بشأر رسوله القتل .

ويذهب بعض المؤرخين - في سبب غزوة مؤتة - الى ان النبي (ص) أرسل خمسة عشر رجلا الى ذات الطلح على حدود الشام يدعون الى الاسلام دعوة كان جزاؤهم منها القتل ولم ينبج احد منهم الا رئيسهم (١) .

وعلى أي تقدير فان كان هذا هو سبب الغزوة أو ذاك فان القضيتان تدلان على نتيجة واحدة هي قتل رسل النبي محمد وتعدي الروم على المسلمين ، وفي ذلك ما فيه من امتهان لكرامة الاسلام مما استفز مشاعر النبي وأهاب به لتهيئة جيش من المسلمين يصد به عدوان الروم ويغزو امبراطوريتهم ليوقف كبرياءهم عند حدها .

وقد لبى المسلمون نداء النبي فعسكروا بالجرف وكانت عدتهم ثلاثة آلاف مقاتل ، وحين رأى النبي انه موجه بالمسلمين في غزوتهم هذه لمقابلة جيش جرار يتمتع

---

(١) نقل هذه الرواية الدكتور هيكل في ( حياة محمد ) .

بقوة ومنعة ، ويتحصن بمعدات حربية كافية فضلا عن كثرة جنوده الذين يتجاوزون عدد جيش المسلمين بأضعاف مضاعفة فرأى ان يؤمر على المسلمين المجاهدين ثلاثة أمراء يتولون امارة الجيش بالتعاقب واحداً بعد الآخر ، لذلك نصب جعفر بن ابي طالب أميراً على الجيش ، ثم قال : فان قتل جعفر فالامارة من بعده لزيد بن حارثة (١) فان قتل زيد فالامارة لعبد الله بن رواحة (٢) فان قتل فالامر للمسلمين يختارون لامارتهم من يشاءون .

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي ، اختطف في الجاهلية صغيراً فاشتريته خديجة بنت خويلد وكان قد اشتراه لها حكيم بن حزام من سوق عكاظ بأربعمائة درهم ، فوهبته الى النبي حين تزوجها ، وقد تبناه النبي قبل الاسلام واعتقه وزوجه بنت عمته «أم أيمن» واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد حتى نزلت آية « ادعوهم لابنائهم » . وكان زيد من أقدم الصحابة اسلاماً وكان لا يبعثه النبي في سرية الا وجعله من الأمراء عليها ، وهو احد أمراء الجيش في مؤتة وفيها قتل وله من العمر خمس وخمسون سنة .

(٢) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي ويكنى أبا محمد وليس له عقب ، وقد شهد بيعة العقبة مع السبعين من الانصار وشهد بدرًا واحداً والخندق والحديبية ، وقد استخلفه النبي على المدينة في احدى =

ولا بد لنا هنا من الإشارة الى اختلاف المؤرخين في  
الامير الاول من أولئك الثلاثة هل هو جعفر أم زيد ؟ أما  
عبدالله بن رواحة فقد كان هو الثالث باجماع المؤرخين .

ولكننا بحكم التأمل والامعان ، والتتبع والاستنتاج  
نجد بأن جعفرا كان هو الامير الاول اذ وردت في ذلك  
روايات صريحة وقرائن قوية وشهادات قاطعة . أما الروايات  
الصريحة في ذلك فنذكر منها ما يلي :

روى آبان بن عثمان عن جعفر الصادق أن النبي (ص)  
استعمل على المسلمين جعفراً فان قتل فزید بن حارثة فان  
قتل فعبدالله بن رواحة .

وفي كتاب ( سليم بن قيس ) في حديث لعبد الله بن  
جعفر مع معاوية بن ابي سفيان قوله لمعاوية : ( يا معاوية أما  
علمت أن رسول الله حين بعث الى مؤتة أمر عليهم جعفر بن

---

= غزواته . وهو من الشعراء المشهورين في عهده ، ومن  
السابقين الاولين الى الاسلام من الانصار ، فكان عظيم  
القدر في الجاهلية والاسلام وكان ممن يرد الاذى عن  
رسول الله ، وله في الدفاع عنه مواقف مشهورة ، وقد  
قتل في غزوة ( مؤتة ) شهيدا .

أبي طالب ثم قال : ان هلك جعفر فزيد بن حارثة فان هلك  
زيد فعبدالله بن رواحة ، ولم يرض لهم أن يختاروا  
وأخرج ابن سعد في ( الطبقات الكبرى ) بسنده عن  
لأنفسهم .  
ابن عامر قال :

« بعثني رسول الله الى الشام فلما رجعت مررت على  
أصحابي وهم يقاتلون المشركين في مؤتة ، فقلت : والله لا  
أبرح اليوم حتى انظر ما يصير اليه أمرهم فأخذ اللواء  
جعفر بن ابي طالب ولبس السلاح وكان رأس القوم ، ثم  
حمل جعفر حتى اذا هم أن يخالط العدو رجع فوحش  
بالسلاح (١) ثم حمل على العدو فطاعن حتى قتل ، ثم اخذ  
اللواء زيد بن حارثة فطاعن حتى قتل ثم أخذ اللواء عبدالله  
ابن رواحة فطاعن حتى قتل ... »

وذكر ( اليعقوبي ) في تاريخه : أن النبي (ص) وجه  
جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة في  
جيش الى الشام لقتال الروم سنة ثمان للهجرة ...  
ففي هذه الروايات دلالة صريحة على أن جعفرأ كان  
هو أول الأمراء الثلاثة .. ولكن جماعة من المؤرخين - وهم

---

(١) رمى به .

الأغلب - يروون أن زيدا هو الأمير الأول وجعفر هو الثاني حتى أن ( اليعقوبي ) في تاريخه يشير الى هذا الاختلاف بقوله : « وروى بعضهم أنه قال - ويعني النبي - أمير الجيش زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبدة الله بن رواحة ، وقيل بل كان جعفر هو المقدم ثم من بعده زيد ثم عبد الله بن رواحة » .

ومما يؤكد الروايات المتقدمة ما شهد به معاصرو جعفر في اثبات الامارة الاولى له ، فهذا حسان بن ثابت - شاعر النبي - يرثي جعفرا بقصيدة يقول فيها :

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم  
الى الموت ميمون النقية أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم  
أبي اذا سيم الظلامه أصعر

وهذا شاعر آخر هو كعب بن مالك الانصاري يقول  
في مرثيته لجعفر :

اذ يهتدون بجعفر ولواؤه  
قدام اولهم ونعم الاول

فهذا الشعر صريح الدلالة على أن جعفرأ كان اول  
الأمراء .

أضف الى كل ما تقدم أن لجعفر من الكفاءة ما يؤهله  
لهذه الامارة وهذا التقديم على سواه ، فهو الشجاع  
الباسل والبطل المغوار ذو المنطق الحكيم والعقل الوافر .  
وحسبك شاهدا على شجاعته واقدامه ما أخبر به النبي بعد  
أن انتهت المعركة في مؤتة وقتل جعفر وصاحباة فقال (ص) :

« مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در  
وكل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيدا وابن رواحة في  
اعناقهما صدودا ، ورأيت جعفرأ مستقيما ليس فيه صدود ،  
فسألت - أو قيل لي - انهما حين غشيهما الموت أعرضا  
أو كأنهما صدا بوجهيهما واما جعفر فانه لم يفعل » .

فالذي لا يصد بوجهه عن الموت - دون صاحبيه -  
بصريح شهادة النبي لجدير به أن ينصبه النبي أول امراء  
الجيش .

وقبل ان تنهي الكلام في هذا الشأن أحببنا أن نتقل  
ما ذكره ابن ابي الحديد في شرح النهج عند تعرضه لذكر  
امارة الجيش في مؤتة فقد قال :

« اتفق المحدثون على ان زيد بن حارثة هو الامير

الاول فان قتل ، فجعفر بن ابي طالب ، فان قتل ، فعبدالله  
ابن رواحة ، وانكرت الشيعة ذلك ، وقالوا كان جعفر بن  
ابي طالب هو الامير الاول ، وقد وجدت في الاشعار التي  
ذكرها محمد بن اسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم .

ثم اثبت بعد ذلك قصيدي حسان بن ثابت وكعب بن  
مالك اللتين سبقت الاشارة اليهما .

وعلى كل حال فنحن لا نريد ان نجعل من جعفر اميراً  
اولاً على الجيش تعصبا له او رفعا من شأنه ، فليس للعصبية  
هنا من مقام ، كما وليس كون جعفر اميراً اولاً او ثانياً مما  
له كبير اثر في الدلالة على سموه وشأنه ، وكل ما في الامر  
اننا وجدنا خلافاً بين المؤرخين حول الامارة في جيش مؤتة  
فتعرضنا له بشيء من التحقيق والاستنباط ورجحنا — بما  
قدمنا من الادلة — على ان جعفرأ كان اول الامراء وللقاريء  
الكرر رأيه المحترم في موافقته لما ذهبنا اليه ، او في عدم  
موافقتنا بذلك .

تهياً لجيش المسلمين الى المسير واستعد لقطع الصحراء  
القاحلة فدفع النبي اللواء الى اميرهم وهو لواء ابيض ،  
ومشى الناس الى جعفر واصحابه يودعونهم ويدعون لهم  
بالاتصار .

وكان النبي (ص) قد خرج مع عامة الناس لتوديع هؤلاء الغازين المجاهدين حتى بلغ ثنية الوداع فخطبهم وأوصاهم قائلاً :

« أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، أغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث فأيتن اجابوك اليها فاقبل منهم واكف عنهم ، ادعهم الى الدخول في الاسلام فان فعلوا فاقبل واكف ثم ادعهم الى التحول من دار المهاجرين فان فعلوا فأخبرهم ان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، وان دخلوا في الاسلام واختاروا دارهم فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفبيء ولا في الغنيمة شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فادعهم الى اعطاء الجزية فان فعلوا فاقبل منهم واكف عنهم ، فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وان أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوا أن تستزلهم على حكم الله ، فلا تستزلهم على حكم الله ، ولكن انزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم ام لا ، وان ارادوا أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسول الله ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسول الله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة ابيك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم آبائكم



خير لكم من ان تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . وانكم  
ستجدون رجالا في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا  
لهم ، ولا تقتلن امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا فانيا ، ولا تقطعن  
نخلا ولا شجرا ولا تهدمن بناء . » .

لقد اوصى النبي محمد (ص) أمراء الجيش بهذه الوصية  
المحكمة الرصينة التي تشف عن روحه العالية وتعاليم دينه  
لقويم ، والقارىء حين يقرأها بتدبر وامعان سيلبس عظمة  
الاسلام وحكمة تعاليمه القويمة فيها .

ولما انتهى النبي من وصيته هذه ، توادع المسلمون  
مع الجيش المجاهد ودعوا لهم بالنصر والفوز فقال عبدالله  
ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة  
وضربة ذات فزع تقذف الزبدا

أو طعنة ييدي حران مجهزة  
بضربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثي  
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وتوادع الامراء مع النبي وحين جاء ابن رواحة ليوذع  
النبي قال : « يا رسول الله مرني بشيء احفظه عنك »

فقال النبي (ص) :

« انك قادم غدا بلدا السجود فيه قليل فأكثر السجود »

فقال عبدالله : « زدني يا رسول الله » .

فقال (ص) : اذكر الله فانه عون لك على ما تطلب .

فقام من عنده حتى اذا مضى ذاهبا رجع فقال :

« يا رسول الله ، ان الله وتر يحب الوتر » .

فقال النبي (ص) : « يابن رواحة ما عجزت فلا تعجز

ان أسأت عشرا أن تحسن واحدة » . فقال ابن رواحة :

« لا أسألك عن شيء بعدها » .

ثم سار الجيش ومضى المجاهدون في سبيل الله

يقطعون الصحراء حتى بلغوا وادي القرى فنزلوا به اياما ،

ثم ساروا وبينما هم سائرون في الطريق اذ بلغهم ان الروم

تحركوا لمقابلتهم بجيش يتألف من مائة الف مقاتل من

الروم خاصة ، وقد انضم اليهم مائة الف من منتصرة العرب

فزاد هذا روع المسلمين ، وهموا بالتراجع عن مقاتلة جيش

لا قبل لهم به ، وقالوا : نكتب الى رسول الله فنخبره الخبر .

فأما أن يزيدنا أو يزيدنا . فشجعهم عبدالله بن رواحة وقال :

« والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا كثرة سلاح

ولا كثرة خيل ، الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به .

انطلقوا فقاتلوا فقد والله رأيتنا يوم بدر ومامنا الا فرسان ،

انما هي احدى الحسينين ، اما الظهور عليهم فذاك ما وعدنا الله ورسوله وليس لوعده خلف ، واما الشهادة » .

فتشجع الناس بهذا الكلام وعاودهم عزيمتهم ونشاطهم وسار الجيش الى ساحات الجهاد فاما الفتح والظفر ، او الموت والشهادة .

وما زالوا سائرين حتى نزلوا في ( معان ) (١) ، فبلغهم ان ( هرقل ) ملك الروم نفسه قد نزل في « مؤاب » من ارض البلقاء في مائة الف من الروم ، وقد انضمت اليهم المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلق في مائة الف منهم ، وكان عليهم رجل من بلق يقال له مالك بن رافلة (٢) .

فأقام المسلمون في معان ليلتين ينظرون في أمرهم . واخيرا صموا على المضي لملاقاة العدو ، وفيما هم سائرون اذ وصلوا الى تخوم البلقاء فلقيتهم هناك جسوع هرقل في قرية يقال لها ( مشارف ) وكان هرقل قد انفذهم لمحاربة المسلمين وهو مقيم يومئذ بأنطاكية وكان على الروم ( تيادوقس ) البطريق ، وعلى منتصرة العرب من غسان

(١) معان : موضع بطريق حاج الشام لا تقل المسافة بينها وبين مؤتة عن - ٨٠ - كيلومترا وتبعد عن المدينة المنورة من جهة الشمال مسافة (٨٤٣) كيلومترا .

(٢) الطبقات والطبري وغيرهما .

وقضاة وغيرهم شرحيل بن عمرو الغساني (١) .

ولما دنا جيش العدو من المسلمين انحاز جيش المسلمين الى قرية ( مؤتة ) فالتقى عندها الناس ، ولا تسل عن مدى الدهشة التي شملت أغلب المسلمين حين رأوا جيش الروم اللج الذي أهالهم بعده وعديده .

ولنستمع الى ابي هريرة - وهو ممن حضر الغزوة - ليحدثنا عن الرعب الذي داخل نفسه ونفوس المسلمين فيقول (٢) :

« شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد وال سلاح والدياج والحرير والذهب ، فقال لي ثابت بن أقرم : ما لك يا ابا هريرة كأنك ترى جنوعا كثيرة .

قلت : نعم .

فقال : ألم تشهدنا في بدر فانا لم ننصر بالكثرة . وربما يرى بعض القراء كثيراً من المبالغة فيما رويناه من أن جيش الروم في مؤتة كان يتألف من مائتي الف مقاتل

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي .

(٢) شرح النهج .

كما رأى ذلك صاحب كتاب «حروب الاسلام والامبراطورية الرومية» مستدلا على رأيه : بأن مثل هذا الجيش اللجب لا تيسر تهيئته في اسبوع او اسبوعين بل لا بد له من أشهر ، يضاف الى ذلك انه لم تكن هناك ضرورة لحشد مثل هذه القوى ، ويؤيد هذا قلة قتلى المسلمين في تلك المعركة اذ لم يزيدوا على مئة وعشرين قتيلا ولو كان هناك مائتا الف لما سلم منهم الا القليل .

ونحن نرده : - بأن تهيئة مثل هذا الجيش كانت يسيرة للروم اذ أشرنا في أول هذا الفصل الى الحاميات والمراكز العسكرية الكثيرة ، وهذه وحدها تكفي لتأليف جيش كبير عند الحاجة ، وقد كانت الضرورة تدعو الروم لان يؤلفوا مثل هذا الجيش الكبير ، لان ذلك أول زحف يقوم به الاسلام عليهم واذا يقابلونهم بهذه القوى الهائلة فانهم يقصدون ادخال الرعب في نفوسهم ونفوس غيرهم ممن ينوي الزحف على امبراطوريتهم الكبيرة ، ولا يخفى ما في ذلك من الخطط السياسية المحكمة في سبيل الاحتفاظ بسمعة دولتهم .

واذا كان قتلى المسلمين لم يزد عددهم على مائة وعشرين قتيلا فان جيش المسلمين لم يستمر في القتال ، بل رجع الى المدينة فارا بعد مقتل امرائه الثلاثة .

## مقتل جعفر

تعباً المسلمون المجاهدون وتهيأوا للقتال فجعلوا على  
ميامنتهم رجلاً من بني « عذرة » يقال له : قطبة بن قتادة  
السدوسي ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الانصار يقال له عباية  
ابن مالك (١) .

ودق جرس الحرب فابتدأ القتال بين المسلمين والروم  
في اليوم الثاني من شهر جمادى الاولى سنة ثمان من الهجرة  
فأخذ اللواء جعفر بن ابي طالب ومشى نحو الموت متدرعا  
بالعزم والايمان ، فأفاض من عزمه وايمانه القويين على ثلاثة  
آلاف مقاتل من المسلمين الذين هم قوام جيشه المجاهد  
فبعث فيهم روح الاقدام والتضحية بعد أن أهابهم جيش  
الروم اللجب الجرار .

خاض جعفر غمرات الحرب وقاتل قتالا شديداً أبدى  
فيه من الشجاعة والبسالة ما أبهر الالباب وأطاش العقول ،

(١) وذكر بعضهم اسم عبادة بدلا من عباية .

ولم يزل يقاتل حتى أراد ان يضرب مثلاً أعلى في التضحية  
ونكران الذات فنزل عن فرس شقراء كان يقاتل عليها فعقرها  
فكان أول من عقر فرسه في الاسلام ، وحسبك بذلك مثلاً  
والعالم على قوة العزيمة وحب التضحية والانقطاع عن التعلق  
بأسباب الحياة .

تجرد جعفر في تلك الساعة عن التفكير في كل شيء  
سوى لقاء الله والفوز بنعيمه وخلوده ، فلنستمع اليه وهو  
مستتر على القتال في ساحة الحرب يرتجز قائلاً :

يا حبذا الجنة واقتربها  
طيبة وبارد شربها  
والروم روم قد دنا عذابها  
كافرة بعيدة أنسابها  
علي اذ لاقيتها ضاربها

وهكذا كان يقاتل قتال البطل الباسل لم ترهبه عدة  
القوم وعديدهم حتى قطعت يده اليمنى فلم يفتر عزمه ولم  
تجبن نفسه فأخذ الراية ييسراه غير مكترث لقطع يمينه وقاتل  
بنفس البطولة والبرسالة الاولى حتى قطعت يده اليسرى

فجمع كل قوته واعتنق الراية وضها الى صدره دون أن  
يفل جلدء أو تخور قواه فقاتل بعزم ثابت ونفس راضية  
ملمثة لم يعبأ بالموت بل لاقاه سعيدا مستبشرا بالشهادة  
وخر صريعا على وجه الارض وفيه جراحات كثيرة كانت كلها  
في مقدمه .

يقول ابن سعد في الطبقات : « وجد فيما أقبل من  
بدن جعفر اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح .  
ويقول المسعودي (١) : « جرح نيفا وتسعين جراحة  
وكلها في مقدمه » .

ويتول البخاري في ( صحيحه ) أن عبد الله بن عمر  
قال : ( كنت بتلك الغزوة فالتمسنا جعفرا فوجدناه بين  
القتلى ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية  
ليس منها شيء في دبره » (٢) .

ويحدث عبدالله بن عمر نفسه فيقول : « أتيت جعفرا  
وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال : « اني  
صائم » فضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب  
الشمس أفطرت ، فمات قبل الغروب صائما شهيدا » .

وبعد مقتل جعفر (ع) أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل

---

(١) التنبيه والإشراف .

(٢) سمر الليالي .



قتالا أبدى به من البسالة ما أبهر الناس الى أن أحاط به  
الاعداء فقتلوه فانتهت امارة الجيش الى عبدالله بن  
رواحه لانه الامير الثالث الذي نصبه رسول الله ، فأخذ  
الراية وتقدم بها المقتال، ولكنه حين رأى كثرة جموع الاعداء  
وقلة أصحابه حدثته نفسه بالاحجام ولكن عزمه وايمانه  
دفعاه الى الاقدام نحو الموت واللحاق بصاحبيه فأنشأ يقول  
مخاطبا نفسه :

أقسمت يا نفس لتنزله

طائفة او فلتكرهني

ما لي أراك تكرهين الجنه

وطالما قد كنت مطمئنه

ثم جعل ينظر الى مصرع الاميرين القتيلين فاستوحى  
منهما العزم والثبات فقال :

يا نفس ان لا تقتلي تموتي

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد اعطيت

ان تفعلي فعلهما هديت

وتقدم الى البراز وقاتل بالراية الى أن أردوه صريعا

فقتل بذلك آخر امير نصبه رسول الله ، فبان الانكسار  
بجيش المسلمين وتراجعوا عن العدو وتفرقوا في البيداء ،  
ولم يزل العدو يطاردهم وهم لا يعرفون ماذا يصنعون اذ  
ليس لهم امير يحمل راية الجهاد . فأخذ اللواء ثابت بن  
أقرم ، وجعل يصيح : « يا للانصار » ، فثاب اليه منهم  
قليل فانضسوا تحت الراية ، فقال ثابت لخالد بن الوليد  
« خذ اللواء يا ابا سليمان » .

فقال خالد : « لا بل خذه انت فلك سن وقد  
شهدت بدرا » .

فقال ثابت : « خذ أيها الرجل فوالله ما اخذتها  
الا لك » فأخذه خالد وحمل به ساعة فجعل المشركون  
يصلون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير ، فانحاز بالمسلمين  
وانكشفوا راجعين .

ولم يلق جيش من العتاب ما لقيه أصحاب مؤتة — كما  
يقول ابن ابي الحديد — حتى ان الرجل منهم لينصرف الى  
بيته واهله فيدق عليهم الباب فيأبون ان يفتحوا له ويقولون :  
« ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت وشاركتهم في الشهادة » .

وقد بلغت الحال بالكبراء منهم ان جلسوا في البيوت  
استحياء وفرارا من التقريع والعتاب .

## مدفن جعفر

دفن جعفر (ع) في مؤتة حيث قتل ، كما نص على ذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » حيث قال عند ذكر مؤتة « وبها قبر جعفر بن ابي طالب » .

ويذكر ابن فضل الله العمري في « مسالك الابصار » ان قبر جعفر الطيار بقرية مؤتة ، ويزيد على ذلك بقوله : وبها أيضا قبر زيد بن حارثة وقبر عبدالله بن رواحة والحارث بن النعمان وعبدالله بن سهل وسعد بن عامر القيسي وابي دجانة الانصاري ممن استشهدوا في مؤتة .

ويذكر صاحب « عمدة الطالب » أن جعفرا وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة قد دفنوا في حفرة واحدة .

ويقع المزار الذي فيه قبور الشهداء الثلاثة — جعفر وزيد وعبدالله — على ما يقرب من كيلومتر واحد من شرقي قرية مؤتة الحاضرة ، وقبورهم معروفة وتزار حتى الآن ،

ولم يبق من المشهد المؤسس لهذه الأضرحة سوى قوس كبير تحيط به جدران مهدمة فيها محراب من الجنوب ، وعلى بعض حجارة الجدران المتساقطة كتابة عربية تقرأ بعض حروفها بصعوبة ويظهر انها البسمة وبعض آي الكتاب الكريم ، والمظنون ان هذا البناء أقيم في مكان المعركة تذكارا لها ، ويقال انه انشئ في عهد الملك الظاهر بيبرس أو في عهد صلاح الدين بن ايوب أي في عهد الحروب الصليبية (١) .

وبناء على ما قدمناه بسرد عدة روايات من مصادر موثوق بها يتعين ان جعفرا دفن حيث قتل في « مؤتة » . فلا عبرة بالرواية التي تقول : « ان جثة جعفر حملت الى المدينة ودفنت فيها بعد ثلاثة ايام من وصول الجيش اليها » .

ولا ندري كيف غفل الدكتور محمد حسين هيكل عن الروايات المتقدمة فتركها واخذ بهذه الرواية الاخيرة في كتابه « حياة محمد » عند تعرضه لذكر مدفن جعفر .

---

(١) نقلا عن كتاب «حروب الاسلام والامبراطورية الرومية» .

## دموع ورثاء

في صباح اليوم الذي نشبت فيه المعركة بمؤتة صلى رسول الله (ص) بالمسلمين صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فكشف له عن بصره فصار يرى المعركة ويحدث من حضر عنده بأنائها شيئاً بعد شيء فأخبرهم بتعبئة جيش المسلمين، وابتداء القتال ، وبينما هو كذلك اذ ظهر عليه حزن شديد وبعد برهة رآه الناس مبتسماً ، فسألوه عن سبب ذلك فقال : « كان الذي رأيتم مني انه احزنتي قتل اصحابي حتى رأيتم في الجنة اخوانا على سرر متقابلين ورأيت في بعضهم اعراضاً كأنه كره السيف ، ورأيت جعفرأ ملكاً ذا جناحين مصبوغ القوادم » (\*) .

وخرج النبي من المسجد متوجها الى بيت جعفر ، وللحزن في محياه اثر بارز لا يستطيع كتماناه ، فدخل على أسماء بنت عميس زوجة جعفر فقال : « يا أسماء أين بنو

---

(\*) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد .

جعفر ؟ » .

تقول اسماء : فجئت بهم ، فضمهم وشمهم ثم ذرفت  
عيناه فبكى ، فقلت : يا رسول الله لعلك بلغك عن جعفر  
شيء ؟ فقال : نعم ، انه قتل اليوم : فقامت أصيح واجتمع  
الي النساء فجعل رسول الله يقول : يا أسماء لا تقولي  
هجراً ولا تضربي صدرا . ثم خرج ودخل على ابنته فاطمة  
وهو يجر رداءه ولا يملك عبرته ففوجيء بفاطمة تنادي  
وتقول : « وا ابن عماء » . فقال (ص) « على مثل جعفر  
فلتبك البواكي » (\*) . ثم قال : اصنعوا لآل جعفر طعاما  
فقد شغلوا بأنفسهم اليوم .

ولنستمع الآن الى ما يحدثنا به عبد الله بن جعفر  
عما صنع النبي ذلك اليوم فانه يقول على ما نقله ابن ابي  
الحديد في شرح النهج .

( انا احفظ حين دخل النبي (ص) على امي اسماء  
فنعى اليها ابي ، فانظر اليه وهو يمسح على رأسي ورأس  
اخي وعيناه تهرقان بالدمع حتى قطرت لحيته ، ثم قال :  
اللهم ان جعفرا قدم الى أحسن الثواب ، فاخلفه في ذريته .  
ثم قال : « يا اسماء الا ابشرك » . قالت : بلى بأبي انت

(\*) تاريخ اليعقوبي .

وامي ، قال : فان الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة . قالت : فاعلم الناس ذلك . فقام رسول الله وأخذ بيدي وهو يمسح ييده على رأسي حتى رقى على المنبر واجلسني أمامه على الدرجة السفلى ، وان الحزن ليعرف عليه فقال : ان المرء كثير بأخيه وابن عمه ، ألا وان جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة . ثم نزل فدخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع لنا وارسل الى اخي فتغدينا عنده غداء طيباً ، وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه في بيوت نسائه ، ثم أرجعنا الى بيتنا ، واتاني رسول الله بعد ذلك وانا أساوم في شاة فقال : اللهم بارك له صفقته ، فوالله ما بعت شيئاً ولا اشتريت الا وبورك فيه ) .

ويقول ابن ابي الحديد في ( شرح النهج ) : انه لما أتى النبي مقتل جعفر وزيد كثر بكأؤه عليهما وقال : « انهما أخواي ومؤتساي ومحدثاي » . وجدير بجعفر أن يترك فقدته ذلك الاثر البالغ في نفس رسول الله فقد كان عوناً وناصرًا له يستدفع به الاذى ويصد فيه العدوان ولهذا كان النبي بعد مقتل جعفر لا يبعث بأخيه علي (ع) في وجه من الوجوه الا ويقول : « رب لا تذرني فردا وانت خير

الوارثين « (١) .

ولقد نوه النبي (ص) بما احرزه جعفر في جهاده من الثناء والثواب فقال : « ان لجعفر بن ابي طالب جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة » (٢) ومن هنا لقب جعفر بـ « ذي الجناحين » و « الطيار » .

ولقد كان ذلك الحزن العميق الذي ظهر على النبي في فقد جعفر مدعاة لحزن عامة المسلمين في هذا المصاب الأليم والفادح الجلل . مما أهاب بالشعراء ودفعهم الى رثاء جعفر ، ليشاطروا النبي في مصابه بآبن عمه اولا ، ولينو هوا بفضل جعفر ومزاياه ثانيا .

وبناء على ذلك فقد أنشأ حسان بن ثابت - شاعر الرسول - قصيدة عصماء يرثي بها جعفرأ ويشيد بمزاياء بيته الهاشمية فقال (٣) :

تأو بني ليل يشرب أعسر  
وهم اذا ما نوّم الناس مسهر

---

(١) مروج الذهب للمسعودي .

(٢) انظر (الطبقات الكبرى) لابن سعد ، والحديث المذكور رواه عامة المؤرخين .

(٣) ذكرها ابن هشام في سيرته وابن ابي الحديد في شرح النيج . وهي مثبتة في ديوان حسان بن ثابت المطبوع .



الذكرى حبيب هيجت لي عبرة  
سفوحا . واسباب البكاء التذكر

بلى ان فقدان الحبيب بلية  
وكم من كريم يتلى ثم يصبر (١)  
أيت خيار المؤمنين تواردوا

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر  
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا

بؤثة منهم « ذو الجناحين جعفر »  
وزيد وعبد الله حين تتابعوا

جميعا وأسياف المنية تقطر (٢)  
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم

الى الموت ميمون النقية أزهر  
أغر كضوء البدر من آل هاشم

أبي اذا سيم الظلامه أصغر (٣)

---

(١) هذا البيت وانادي يليه نعتاهما من ديوان « حسان » .

(٢) وفي الديوان « تخطر » .

(٣) وفي الديوان « مجسر » .

فطاعن حتى مال غير موسد  
بمعترك فيه القنسا متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه  
جنان وملف الحقائق اخضر

وكنا نرى في «جعفر» من «محمد»  
وقارا وأمرا حازما حين يأمر

وما زال في الاسلام من آل هاشم  
دعائم صدق لا ترام ومفخر (١)

هم جبل الاسلام والناس حولهم  
رضاب الى طود يطول ويقهر

بهم تفرج الغماء من كل مأزق  
غماس اذا ما ضاق بالناس مصدر

هم اولياء الله انزل حكمه  
عليهم وفيهم والكتاب المطهر

(١) وفي الديوان « دعائم عز لا يزول ومفخر » .

بها ليل منهم (جعفر) وابن امه  
(علي) ومنهم (احمد) المتخير  
و (حمزة) و (العباس) منهم ومنهم  
(عقيل) وماء العود من حيث يعصر

أرأيت - ايها القارئ - هذه القصيدة الرائعة التي  
بعثها شعور صهره ألم المصاب فانفجر عن أحر العواطف  
وأصدقها ولو يسعنا المقام لدرسناها دراسة مسهبة نلفت فيها  
القارئ الى مواطن الابداع والابداع في كل بيت منها .  
ومهما كان فلا بد لنا أن نقف بالقارئ لنلفته الى قوله :

وكنا نرى في جعفر من محمد  
وقارا وأمرا حازما حين يأمر

ففي هذا البيت اشارة الى ما ذكرناه في طيات هذا  
الكتاب من مشابهة جعفر لرسول الله في خلقه وخلقه .

وكان حسناً لم يكتف بالتعبير عن شعوره بتلك  
الرائعة فنظم مقطوعة أخرى يبكي بها جعفرأ فقال (١) :

---

(١) مثبتة في ديوان حسان بن ثابت ، وقد ذكرها ابن هشام  
في الجزء الثاني من سيرته .

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر  
حب النبي على البرية كلها

ولقد جزعت وقلت حين نعت لي  
من للجلاد لدى (١) العقاب وظلها

بالبیض حين تسل من اغمادها  
يوما (٢) وانهال الرماح وعلها

بعد ان فاطمة المبارك ( جعفر )  
خير البرية كلها وأجلها

رزء وأكرمها جميعا مختدا  
وأعزها متظلما . وأذله

للحق حين ينوب غير تنحل  
كذبا وأعمرها ندى (٣) وأ

---

(١) في سيرة ابن هشام « لذي » .

(٢) وفي السيرة « ضربا » .

(٣) وفي السيرة « وانداه يدا » .

فحشا وأكثرها اذا ما يجتدى  
فضلا وانداها يدا وأدلهما (١)

بالفرق غير محمد لا شبهه  
بشر يعد من البرية كلها

وهذا شاعر آخر مشهور هو كعب بن مالك الانصاري  
التهب شعوره فأنشأ قصيدة يؤبن فيها جعفرأ فقال : (٢)

هدت العيون ودمع عينك يهمل  
سحاكما وكف الرباب المخضل

وكأننا بين الجوانح والعشا  
مما تأوئني شهاب مدخل

وجدا على النفر الذين تتابعوا  
قتلا بنوثة اسندوا لم ينقلوا

صلى الاله عليهم من فتية  
وسقى عظامهم الغمام المسبل

---

(١) وفي السيرة « وأبلىها » .

(٢) ذكرها ابو الفرج في « مقاتل الطالبين » وابن ابي

الحديد في « شرح النهج » .

صبروا بمؤتة لئلا نفوسهم  
 عند الحمام حفيظة أن ينكلوا  
 ساروا امام المسلمين كأنهم  
 طود يقودهم الهزبر المشبل  
 اذ يهتدون بجعفر ولواؤه  
 قدام أولهم ونعم الاول  
 حتى تقوضت الصفوف وجعفر  
 حيث التقى جمع الغواة مجدل  
 فتغير القمر المنير لفقده  
 والشمس دقة كسفت وكادت تأفل  
 قوم علا بنيانهم من هاشم  
 فرع أشم وسؤدد متأمل  
 قوم بهم نظر الاله لخلقه  
 وبجدهم نصر النبي المرسل  
 قوم بهم عصم الاله عباده  
 وعليهم نزل الكتاب المنزل

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم  
تدى اذا اعتذر الزمان المصل

فضلوا المعاشر عفة وتكرما  
وتغمدت أخلاقهم من يجل

ويذكر ابن هشام في سيرته : أن شاعرا من المسلمين  
ممن رجعوا من مؤتة قال يرثي جعفرا وصاحبيه :

كفى حزنا اني رجعت وجعفر  
وزيد وعبد الله في رمس أقبر

قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم  
وخلفت البلوى مع المتغير

ثلاثة رهط قدموا فتقدموا  
الى ورد مكروه من الموت أحمر

## فضائل ومزايا

ان البيان ليقف مأخوذاً بسحر هذه الشخصية الفذة متى ما أراد التحدث عن فضلها ، والاعراب عن مميزاتها وخصائصها وماذا عسى أن يقول البيان عن شخصية سمت الى عالم الروح الاعلى فهامت بالمثل العليا واتصلت من كل مكرمة بسبب حتى بلغت اوج العظمة والكمال .

كيف نستطيع ان نلم بالحديث عن عظمة جعفر ، والحديث عن جعفر معناه الحديث عن النبي محمد (ص) لان جعفرأ من النبي كجزء من نفسه اذ خلق واياه من شجرة واحدة كما اشار الى ذلك الرسول بقوله : « خلق الناس من اشجار شتى وخلقنا انا وجعفر من طينة واحدة » . واذا كان جعفر قد خلق من طينة النبوة ومعدن الرسالة فحسبنا في ذلك عجزاً عن الاحاطة بفضائله ومزاياه ، وحسبه اطراء وثناء ومجدا وعلاء ، ان يخلق من شجرة النبوة الزاكية . ولا بد ان يحصل بين النبي وجعفر تشابه كبير في الخلق والخلق كنتيجة لكونهما مخلوقين من طينة واحدة ، وقد عبر النبي (ص) عن ذلك التشابه بقوله مخاطباً لجعفر :



« يا جعفر اشبهت خلقي وخلقي » .

فجعفر - اذن - يشبه النبي في اخلاقه الرفيعة العالية التي هي في غنى عن الذكر والاطراء بعدما أشاد الله تعالى بذكرها في محكم كتابه بقوله : « وافك لعلى خلق عظيم » . وحسب أخلاق جعفر ان تكون كأخلاق النبي العظيم .

وكما ان جعفرا كان يشبه النبي في اخلاقه فقد كان يشبهه في خلقته وشمائله وهيئة بدنه تمام الشبه حتى ورد أن الرجل كان يرى جعفراً فيقول : « السلام عليك يا رسول الله » - وهو يظنه اياه - فيقول له : « ليست برسول الله انا جعفر » . فهذا يدلنا على ان جعفرا توفرت فيه كل شمائل النبي مما جعل الرائي لا يفرق بينه وبين رسول الله . ولا يخفى ما في هذه المشابهة من الاهمية العظيمة ، لان البدن اذا كان كامل الاعضاء متناسق التركيب سالماً من العاهات والعيوب يكون أهلاً لبلوغ كافة الغايات السامية والمقاصد الجليلة ، لان في صحة الجسم وقوة البنية تتكامل رجولة الانسان فيستطيع ان يحمل أثقل الاعباء والمزايا والملكات ، بخلاف ما اذا كان في الانسان عيب جسمي او عاهة تعطل بعض جوارحه عن العمل ، فانه يكون غير قادر على النهوض بجميع اعباء المكارم والاخلاق لان النقص الجسمي يستدعي النقص في كل امور الانسان

العملية او الفكرية ، ولذا قيل قديما « العقل السليم في الجسم السليم » فسلامة العقل تتوقف على سلامة الجسم وصحة اعضائه وقوة اعصابه . فاذا عرفنا هذا كله لا بد ان تتصور مدى اهمية ذلك الشبه الجسمي في جعفر من النبي محمد ، وحسبك بمحمد من انسان كامل الخلقة قوي البنية منزّه عن النقائص والعيوب ، مما يؤهل جسمه لان يكون وعاء لجميع الفضائل والاخلاق الكريمة .

جدير بجعفر لو نعتناه بأنه مجموعة من الفضائل ، وذلك لانتا لو استعرضنا حياته منذ فجرها الاول الى آخر لحظة منها لتبين لنا انه كما قلنا فيه . فانه خلق من طينة الرسول ، وحين نشأ وترعرع وكانت مآثم الجاهلية تجرف عامة الناس قاومها ولم تجرفه تياراتها بفضل تربيته القويمة وتفكيره السليم وعقله الوافر ، الى ان جاء الاسلام فكان من أول المصدقين بالنبي ، ولما اشتد تنكيل قريش بالمسلمين وساموهم بأنواع العذاب هاجر مع المهاجرين المضطهدين الى الحبشة ، وبقي فيها عدة سنين بعيدا عن أهله ووطنه الى أن هاجر هجرته الثانية الى المدينة فسمي « ذا الهجرتين » . ولا يخفى ان في هاتين الهجرتين شأنا كبيرا ومقاما رفيعا لسيدنا جعفر ، وذلك لان الهجرة في سبيل الله تعتبر من امهات الفضائل ، ولو نظرنا الى المهاجرين الذين هاجروا

مع النبي من مكة الى المدينة لرأينا بأن لهم شأنًا ومكانًا  
يميزهم على غيرهم ممن لم يهاجروا من المسلمين ، في حين  
انها هجرة واحدة ، فكيف بمن كانت له هجرتان ؟؟...

وبعد ان عاد جعفر من هجرته الى المدينة بقي فيها  
سنة واحدة سار بعدها الى ساحات الجهاد أميرا على جيش  
المسلمين وهناك حيث تشتبك السيوف والرماح وقف يجاهد  
ويجالد المشركين حتى خر قتيلًا بعد ان قطعت يداه ، فكانت  
الشهادة مسك الختام لتلك الحياة الزهية الطاهرة ، فأبدله  
الله عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة ، فمن  
هنا لقبوه ( الطيار ) وكنوه ( ذا الجناحين ) فأدرك بشهادته  
لقبا وكنية يدلان على الفضيلة ويرمزان الى النجدة ، وبقيت  
تلك الكنية عنوانا يعبر بها عن شأن جعفر وعظمته حتى أن  
عبدالله بن عمر كان اذا لقي عبد الله بن جعفر يقول له :  
« السلام عليك يا بن ذي الجناحين » .

والآن تتوجه الى ناحية ثانية من النواحي التي تدل  
على عظمة جعفر وعلو شأنه ، وذلك باثبات بعض ما ذكره  
في حقه المؤرخون وأهل الحديث من الروايات التي تعبر عن  
مقامه الكريم وشأنه العظيم فقد ذكروا انه « كان خير  
الناس للمساكين » (١) لانه كان يحبهم ويجالسهم ويحادثهم

---

(١) صحيح البخاري .

حتى كناه رسول الله « أبا المساكين » لشدة حبه لهم وحده  
عليهم ، وقد كان جعفر جوادا كريما لا يرد وافدا ولا يخب  
أملا ومن اجل ذلك كني بتلك الكنية .

وفي الحديث المشهور الذي رواه ابو هريرة اكبر  
شهادة ناطقة بفضل جعفر وجلال شأنه وعظم قدره وهو :  
( ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب بعد  
رسول الله أفضل من جعفر بن ابي طالب ) .

وقد روى هذا الحديث جماعة من ثقة المؤرخين بل  
ذكره كل من تعرض لذكر جعفر . وان كانت تظهر من  
بعضهم عند اثبات هذا الحديث تأويلات كما وقع ذلك لابن  
كثير فانه بعد أن نقل هذا الحديث في تاريخه عن أحمد بن  
حنبل قال ما مضمونه :

« ان ابا هريرة لم يقصد من هذا التفضيل تفضيله  
من الناحية الدينية وانما قصد تفضيله في الكرم ، ويستدل  
على ذلك بما رواه البخاري من ان جعفرا كان خير الناس  
للمساكين » .

واذا اردت ان تقف على مدى عظمة جعفر وجلالة  
قدره فدع كل شيء وهلم معي نستمع الى النبي محمد  
يعرب عما لجعفر من الشأن العظيم والمقام الكريم في قوله :  
« سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا ، انا وعلي وحسن

وحسين وحمزة وجعفر» (١) .  
ويقول في مقام آخر « خير الناس حمزة وجعفر  
وعلي» (٢) .

وجدير بجعفر الذي له من الشأن والمقام ما قد عرفت  
أن يكون موضع الفخر والاعتزاز عند ذويه من اهل بيت  
النبوة فهذا الامام علي بن ابي طالب تراه يهيج به الوجد  
والحزن بعد فقد جعفر كلما اضطرت له الظروف  
والمناسبات الى تذكره :

واذا اردت ان تقف على ما يكنه الامام علي لجعفر من  
التقدير والاحلال فاستمع الى ما يحدث به عبدالله بن جعفر  
فانه يقول : « كنت اذا سألت عمي شيئاً ويمنعني ، أقول له  
بحق جعفر فيعطيني » .

وكلما اقتضى المقام ان يفخر المرء بحسبه ونسبه فان  
الامام علياً (ع) كان يتخذ من أخيه جعفر مفخرة يساهي  
بها الخصم ومن جملة ذلك ما كتب به الامام الى معاوية بن  
ابي سفيان من أبيات يفخر فيها عليه بقرابته من رسول الله  
ومواقفه في سبيله بفاطمة وتزويجه منها ، وبعمه الحمزة  
أسد الله وأسد رسوله ... الى أن يقول مفتخراً بأخيه جعفر :

---

(١) شرح النهج .

(٢) مقاتل الطالبين .

وجعفر الذي يضحي ويمسي

يطير مع الملائكة ابن امي

وهناك مناسبات أخرى كثيرة افتخر فيها الامام بأخيه  
جعفر أعرضنا عن ذكرها خوف الاسهاب واكتفينا بما  
ذكرناه منها كشاهد على ذلك .

وكذلك الامام الحسين يوم عاشوراء حين وقف في  
كربلاء ليذكرهم بحسبه ونسبه ومكاته فقال مفتخراً :

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم

كفاني بهذا منخرا حين أفخر

وفاطم أمي من سلالة أحمد

وعمي يدعى - ذا الجناحين - جعفر

وحسب القارئ ان نقف به عند هذا الحد ففضائل

جعفر ومزاياه أوسع من ان ندرك مداها وأسمى من ان  
نرقى الى أوجها الرفيع .

## عقب جعفر

لقد أنجب سيدنا جعفر من الولد ثلاثة وهم عبدالله وعون ومحمد وكلهم من أسماء بنت عميس الخثعمية التي ولم يتزوج بغيرها طيلة حياته .

وقد ولد له هؤلاء الثلاثة في « الحبشة » - أثناء هجرته إليها - وأكبر الثلاثة عبدالله الذي كان أول مولود للمسلمين المهاجرين في الحبشة .

والمؤرخون لا يعينون السنة التي ولد فيها عبد الله بل لم يتعرض لذكرها أحد منهم ، ولكننا نستطيع ان نستنبط ذلك استنباطا حينما نرجع الى تاريخ حياته .

ينقل ابن حجر في « الاصابة » بأن عبدالله كان له من العمر عند وفاة النبي عشر سنين ، والنبي كانت وفاته في أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة ، وبناء على هذا تكون ولادة عبدالله حوالي السنة الاولى من الهجرة النبوية .

وأما عون ومحمد فلم نعرف السنة التي ولدا فيها - لا بالتصريح ولا بالاستنباط - بل لا نعرف أي الاخوين

أكبر هل هو عون أم محمد ...؟ ويشير ابن حجر في «الاصابة» الى هذا الاختلاف فيقول : « اختلف في أي ولدي جعفر أكبر ، هل هو عون أم محمد ، واما عبد الله فانه كان أسن منهما » .

والتاريخ لم يتعرض لحياة كل من عون ومحمد بما فيه جدوى للباحث وحتى وفاتهما لم تسلم من الخلاف ، فبينما يقول ابن حجر في «الاصابة» ( بأن عوناً استشهد في «تستر» في خلافة عمر بن الخطاب وماله عقب ) . نجد في ( الطبقات الكبرى ) و ( تذكرة سبط ابن الجوزي ) بأن أم كلثوم بنت الامام علي حين مات عنها الخليفة عمر بن الخطاب تزوجها عون بن جعفر ، مما نستنتج منه بأن عوناً عاش الى بعد مقتل عمر . فكيف نجتمع بين ذينك القولين ؟ .

وكذلك الامر في « محمد بن جعفر » فإن «ابن حجر» يذكر في (الاصابة) بأن محمد بن جعفر الذي هو أول من سمي محمداً في الاسلام من المهاجرين استشهد بتستر . كما وقد قيل بأنه عاش الى ان شهد صفين وله فيها مواقف مع عمه الامام علي (ع) .

والمسعودي في «مروج الذهب» يقول : بأن محمداً وعوناً ولدي جعفر قتلا في الطف مع الحسين . ونحن وان



كنا نستبعد جدا هذا الذي ينقله المسعودي ، وتؤكد بأن  
قتيلي الطف المذكورين هما محمد وعون ولدي عبدالله بن  
جعفر ، لا ولدي جعفر ، فانا لا نستطيع ان تثبت من  
أمرهما على شيء .

أما ألمع الاخوة الثلاثة ذكراً وأعظمهم شأنًا فهو  
أكبرهم عبدالله بن جعفر حيث كان رجلاً عظيماً ، شهيراً  
نبيلاً ، عفاً تقياً اشتهر ذكره في الامصار ودوى مجده في  
الآفاق وعرف بالكرم حتى قيل له « بحر الجود » (١)  
و « قطب السخاء » (٢) وعدوه في مقدمة أجواد العرب ،  
فقال ابن عبد البر في الاستيعاب بأن أجواد العرب في  
الاسلام عشرة وذكر أولهم عبدالله بن جعفر .

نعم كان عبد الله بن جعفر مقصداً للمعوزين ومحظاً  
لآمال المعدمين ، يقصده ذوو الحاجات من كل جهة ومكان  
فيقضي حوائجهم ويحقق آمالهم بسد العوز وبذل الغنى .  
وكانت مصادر ثروته تتألف من موارد قراه وضياعه ،  
وأرباح متاجرته ، وهدايا وعطايا الخلفاء له ، فمن مجموع

---

(١) الاستيعاب .

(٢) الاصابة .

ذلك كانت تجتمع عنده ثروة عظيمة جدا ينفق معظمها على  
الفقراء والمعوزين .

ولولا خوف الاطالة والاسهاب لاثبتنا شواهد من  
قصص كرمه المبثوثة في كتب الادب والتاريخ ، ولكننا  
نكتفي بالاشارة الى ما أورده ابن سيرين من ان رجلا من  
التجار جلب سكرا الى المدينة فكسد عليه فبلغ خبره عبدالله  
ابن جعفر فأمر قهرمانه ان يشتريه ويهبه للناس .

ووجه له يزيد بن معاوية مالا كثيرا هدية منه اليه  
فلما تلقى عبدالله المال لم يدخل الى منزله منه شيئا ، والى  
ذلك أشار عبد الله بن قيس الرقيات بقوله :

وما كنت الا كالأغر ابن جعفر

رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

وهاك مثالا آخر يدل على عفة عبدالله وكرم نفسه  
فيما رواه ابن حجر في « الاصابة » من : ان دهقاناً من  
أهل السواد كلم ابن جعفر في أن يكلم علياً في حاجة ،  
فكلمه فيها فقضاها ، فبعث اليه الدهقان أربعين ألفاً فردها  
عليه وقال له : « انا لا نبيع معروفاً » .

كان عبد الله بن جعفر ممن صحب رسول الله وحفظ  
حديثه وروى عنه ، وقد لازم عمه امير المؤمنين وابني عمه  
الحسن والحسين فأخذ منهم العلم الغزير والخلق الفاضل

والصفات الكريمة فنشأ فاضلاً كريماً النفس طاهر الضمير  
حسن الصفات فوجده عمه أهلاً لأن يزوجه بابنته الحوراء  
« زينب » عقيلة بني هاشم ، فاقترن بها عبد الله وعاشت  
معه إلى أن هاجرت مع أخيها الحسين إلى كربلاء لتشاركه  
في نهضته الخالدة ، وتقدم بعثتها من التضحية والجهاد .  
وكان عبدالله بن جعفر يعرف الدور الهام الذي ستقوم به  
العقيلة زينب مع أخيها في نهضته ، فلم يمنعها من التوجه  
مع الحسين بل اقتنع بضرورة تسييرها في صحبته ، ولم  
يكتف بذلك بل ألزم ولديه عوناً ومحمداً بصحبة الحسين  
والتضحية في سبيله ، فامثلاً أمر ابنيهما ولزما الحسين  
وضحيا بنفسيهما من أجله فقتلا بين يديه يوم عاشوراء .  
وحين جاء نعيهما إلى ابنيهما عبدالله اطمأنت نفسه ورضي  
ضميره حيث وصى الحسين وشاركه في البذل والتضحية  
بفلذتي كبده ، ويدلك على ذلك ما ورد من أنه جلس للعزاء  
حينما بلغه نعي الحسين وقتل ولديه فدخل عليه الناس  
يعزونه ، فقال غلامه : « هذا ما لقينا من الحسين » .

وكان الغلام قد ربي هذين الغلامين ، فحذفه عبدالله  
بنعله وقال له : « يا بن اللخناء أللحسين تقول هذا ؟ والله  
لو شهدته لما فارقتك حتى أقتل معه ، والله انهما لما يسخي  
النفس عنهما ويهون علي المصاب بهما انهما اصيبا مع اخي

وابن عمي مواسين له صابرين معه .

ثم انه أقبل على جلسائه فقال : « الحمد لله . اعزز علي بمصرع الحسين ، ان لم أكن واسيت الحسين بيدي فقد واسيته بولدي » .

لقد كان عبد الله عظيم الشأن جليل القدر محترما عند العامة والخاصة ، وذلك لما يتمتع به من الصفات الفاضلة كطيب المحتد وكرم النفس وعفة الضمير ورجاحة العقل وقوة البيان ... ولا يستكثر ذلك على مثل عبد الله فهو ابن ذي الجناحين جعفر الطيار ، وامه السيدة الفاضلة أسماء بنت عيسى ، وحسب الانسان مفخرا ان يكون ابواه كجعفر وأسماء . أضف الى ذلك ان عمه ، الامام علي وابني عمه الحسنان سيدا شباب أهل الجنة ، فهو - اذا - محاط بالفخر والشرف من كل جهاته ، فلا يستكثر منه ان يكون على ما ذكرنا من الشأن والعظمة .

كان لعبد الله نادي خاص يأتيه الزائرون ويفد عليه المحتاجون فيصدرون ببلوغ الآمال وتحقيق الرغبات .

وكان لعبد الله عند السلطة الحاكمة شأن وأي شأن ، فهو يدخل عليهم ليس كسائر الناس ممن يخنون رؤوسهم خضوعا واحتراما لهيبة الملك والسلطان .

ولولا الايجاز الذي ألزمننا به أنفسنا حين أردنا الكلام  
عن عبد الله لأثبتنا له قصصا أخرى في مآثره وفضائله ،  
ولكننا نمسك القلم عن الاسهاب في ذلك لان هذا الفصل  
لا يختص بعبد الله وحده بل يشمله وغيره من عقب جعفر ،  
والا فالحديث عن عبد الله بصورة مفصلة وباحاطة تامة  
يحتاج الى كتاب خاص .

توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين من الهجرة (١)  
بالمدينة عام الجحاف (٢) في خلافة عبد الملك بن مروان ،  
وكان والي المدينة يومئذ ابان عن عثمان فحضر غسله  
وتكفينه وصلى عليه ومشى خلف جنازته التي ازدحم الناس  
على تشييعها أفواجا ، وقد خرجت الولاة خلف جنازته  
مشققات الجيوب وللناس على سريريه ازدحام عظيم ، واما  
ابان بن عثمان فانه لم يفارق السرير حتى وضعه في البقيع  
ودموعه تسيل على خديه وهو يقول :

« كنت والله لا شرفيك ، وكنت والله شريفا

---

(١) ذكر ذلك اغلب المؤرخين ومنهم ابن حجر في الاصابة ،  
ولكنه بعد ان اثبت ذلك ذكر اختلافا في وفاة عبد الله  
فقال : « وقال الواقدي انه مات سنة تسعين وقال  
الدائني سنة اربعة او خمسة وثمانين » .

(٢) هو سهل بطن مكة جحف الناس وذهب بالابل .

واصلاً برا .

وبما ان عوناً ومحمداً ولدي جعفر لم يعقبا - كما سبق ان ذكرنا ذلك - فعقب جعفر ينحصر بذرية ولده عبدالله الذي انجب - على حد قول صاحب « عمدة الطالب » - عشرين ذكراً ، قال : ان المعقبين منهم اربعة وهم : معاوية وصيه ، وعلي ، واسحاق ، واسماعيل .

ويذكر ابو الفرج في « مقاتل الطالبين » بأنه قتل لعبد الله بن جعفر من الولد ثلاثة مع الحسين وهم عون الاكبر وامه زينب العقيلة ، ومحمد وعبيد الله وامهما الخوصة بنت حفصة ، وقتل له في الحرة ولدان هما ابوبكر وامه الخوصة ايضاً . وعون الاصغر وامه جمانة بنت المسيب .

هذا ولا يسعنا - نظراً لخطتنا الايجازية - ان نترجم كل من ينتهي نسبه الى جعفر بن ابي طالب ، ولكن اثنين من احفاده لمع ذكرهما في التاريخ فأحببنا ان نختم هذا الفصل باثبات شيء موجز عن حياتهما .

أولهما : عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر . كان فارساً شجاعاً ، وجواداً كريماً ، وشاعراً مفلحاً ، ولكنه كان سيئ السيرة قتالاً مستظهِراً ببطانة السوء .

ولما بويغ ليزيد بن عبد الملك تحرك عبد الله ودعا

الناس الى نفسه فاجتمع اليه نفر من الكوفة وبايعوه ،  
فخرج والي الكوفة الى ظاهرها مما يلي الحيرة واقتتل مع  
عبدالله قتالا شديدا حتى انهزم ونجا بنفسه ، وجعل يجمع  
من النواحي والاطراف من اجابه حتى صار في عدة كافيه  
فغلب على مياه الكوفة والبصرة وهمدان وقم واصفهان ولم  
يزل مقيما في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان  
ابن محمد الحمار فوجه اليه عسكريا كثيفا وسار اليه ،  
فندب عبدالله بن معاوية اصحابه الى الخروج فلم يفعلوا  
فخرج ناصدا خراسان ، وكان قد ظهر بها أبو مسلم  
الخراساني فأخذه وجبسه عنده ، ثم اختلف في امره فمن  
قائل ان أبا مسلم قتله قتلا ، او سقاه سما قاتلا فمات فيه ،  
الى آخر يقول انه ارسله الى عامل مروان الحمار فقتله ،  
وعلى كل حال فقد كان مخرجه ومقتله سنة (١٢٧) هـ .

وثانيهما : ابو هاشم الجعفري ، وهو داود بن القاسم  
ابن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب البغدادي .  
كان ثقة جليلا عظيم المنزلة عند أئمة أهل البيت وقد شاهد  
منهم خمسة : الرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي  
وكان منقطعا اليهم ، وقد روى عنهم جميعا ، وله فيهم  
شعر جيد .

# النجاة

لا نستطيع ان نقول - ونحن نختم هذا الكتاب -  
بأننا قد أجطنا بشخصية ابن عم الرسول ذي الجناحين  
جعفر بن ابي طالب ، فان شخصيته مترامية الاطراف بعيدة  
المدى لا يسع البيان ان يسمو الى أوج عظمتها .

ولكن الشيء الذي نستطيع ان نقوله : هو اننا لم  
نقصر في البحث بل بذلنا كل ما في وسعنا من الجهود  
فاستقصينا أمهات كتب التاريخ والتراجم ، حتى أخرجنا  
هذا الكتاب الذي يعتبر كثرة مقتطفة من البحث المتواصل  
الدقيق .

راجين من الله تعالى أن يتقبل منا هذا المجهود  
التواضع وأن يجعله خالصا لوجه الكريم =

« المؤلف »